الطفولة في الإسلام

مكانتها وأسس تربية الطفل

حسن ملا عثمان





الطفولة في الإسلام

مكانتها

وأسس تربية الطفل



حسن ملا عثمان

مجاز في الفلسفة - دبلوم في التربية

مدرس التربية في قسم التربية

- جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - الرياض -

الطفولة في الإسلام

مكانتها

وأسس تربية الطفل



الرياض - ص.ب ١٠٧٢٠٤

طبعة ١٤٠٢ هـ ١٩٨٢ الرياض

دار المريخ للنشر

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي أرسله الله رحمة للعالمين وعلى جميع الأنبياء والمرسلين ومن دعا بدعوته وسار على طريقته إلى يوم الدين وبعد:

فإن الله سبحانه وتعالى قد فطر الناس على غريزة الاجتماع والحياة المشتركة القائمة على التعاون والتحاب، وغرس الله البذرة الأولى في نفس كل من الأب والأم في الالفة والمحبة وتربية الأبناء، قال تعالى: ﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾[1].

فكانت الأسرةُ الخلية الاجتماعية الأولى التي زوّدها الله جلّت حكمته بمقومات البقاء والرقيّ والتقدم، استناداً إلى عواطف محبة الطفل ورحمته والعناية به وشعور الانس والطمأنينة بلقائه والتضحية في سبيل نموه وبقائه، ويطلق علماء النفس على مجموع هذه المشاعر والعواطف إسم «غريزة الأمومة وغريزة الأبوة».

وقد كانت كل أسرة منذ القديم تحرص على إعداد أبنائها للحياة حسب البيئة الاجتماعية التي تعيش فيها، ومن المعلوم أن حياة البشر قديماً كانت خالية من كل تعقيد، ومطالبُ الحياة تكاد تنحصر في الأمور

---

(١) الروم: ٢١.

المادية فحسب، وبمرور الزمن ارتقى الانسان وتعقدت الحياة الاجتماعية واتسعت دائرة حاجات الناس، واتّسعت تبعاً لذلك الأهداف التربوية التي كانت تسعى كل أسرة لتحقيقها بالنسبة لتربية أبنائها، حتى شملت تلك الأهداف أموراً جديدة معنوية ومادية لم تكن معروفةً من قبل، مثل الصدق والأمانة والتعاون والعمل من أجل المصلحة العامة والخضوع لقوانين المجتمع، وتعلم القراءة والكتابة وغير ذلك. ونظراً لحرص كل أب وكل أم على تربية أولادهم تربية فاضلة ـ بحسب رأي كل منهم ـ تقوم على تعليمه كل ما يفيده في حياته ويبعد عنه الضرر من جميع النواحي المادية والمعنوية، فقد استفاد الناس بعضهم من تجارب بعض خلال العصور، وتناقلوا التجارب الناجحة والنتائج المفيدة في ذلك المجال، وبمرور الزمن تبلورت التجاربُ الناجحة في مذاهب ونظريات تربوية تنسب إلى فلاسفة ومفكرين كثيرين، لهم شهرة وظهور في جميع المجتمعات والعصور. والعاقل المتبصر المتدبر في آراء السابقين واللاحقين من المربين يستطيع أن يميز الغث من السمين والصحيح من الفاسد، ومعرفة المبادىء التربوية المنسجمة مع الفطرة السليمة ﴿فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله، ذلك الدين القيم﴾[1]، والمبادىء الفاسدة الصادرة عن الأهواء والاغراض الشخصية والنظرة الضيقة الى الانسان ووجوده في هذا الكون.

ومن خلال التجارب التي مرت بها المجتمعات البشرية رأى المهتمون بأمور التربية أن مرحلة الطفولة هي أهم مرحلة من عمر الإنسان لأنها بمثابة الأساس الذي يقوم عليه بناء شخصيته من جميع نواحيها العقلية والاجتماعية والدينية والجسمية.

وكلمة الطفولة تطلق على الكائنات الحية فقط، وإنها تختلف من

(١) سورة الروم ٣٠.

كائن إلى آخر، وقد لاحظ العلماء أن الطفولة تطول كلما تقدم الكائن الحي في سلم الرقي، فطفولة الحيوانات الثدية أطول من طفولة الطيور، وطفولة الانسان أطول من طفولة أي كائن حيّ آخر، وينتج عن هذا أن الطفل الانساني عند الولادة أعجز من أي طفل كائن حيّ آخر، وتتطلب تربيته والعناية به جهوداً كبيرةً، ولهذا فقد اقتضت حكمة الله سبحانه وتعالى أن يكون عدد أطفال الانسان - الذين يولدون معاً - أقل من أطفال كثير من الحيوانات الأخرى، وأن الأم تلد غالباً طفلاً واحداً، ولا تلد طفلاً ثانياً إلا بعد نموّ الأول نمواً كافياً يمكنها من التفرغ الى تربية الطفل الجديد، على أن هناك حالات خاصة من حيث ولادة التوائم، وولادة طفل ثان لأم بعد سنة أو أقل من ذلك من ولادة الطفل الأول. وطول طفولة الانسان مرتبط برقيّه ومدنيته لأن فترة الطفولة فترة تعلم وتدريب على شؤون الحياة المختلفة، وتختلف مدة طفولة الانسان من بيئة إلى أخرى من حيث الزمن الذي يظل فيه الفرد معتمداً على أبويه أو ذويه، ففي المجتمعات البدائية تكون الطفولة قصيرة لأن الانسان في هذه البيئة سرعان ما يلقي بنفسه في معترك الحياة يعمل كما يعمل الكبار، ويسهم مع أفراد أسرته في النواحي الاقتصادية والسياسية والدينية وغيرها، بينما نجد الطفولة في البيئة المتحضرة طويلة حيث يظل الفرد معتمداً في حياته على الكبار في طفولته الأولى حتى سن المدرسة، ثم يستمر اعتماده عليهم طوال مدة الدراسة بمراحلها المختلفة حتى يتخرج ويعمل، وعندئذ ينتهي تطوره وتكونه ويكون عمره اثنتين وعشرين سنة على أقل تقدير، بينما تنتهي مدة الطفولة في بعض المجتمعات في سن العاشرة أو قبل ذلك.

وقد جرت عادة أكثر علماء النفس والمربين تقسيم مراحل الطفولة إلى الأقسام الآتية:

١ ـ مرحلة ما قبل الولادة
٢ ـ مرحلة الطفولة الأولى
٣ ـ مرحلة الطفوله الثانية
٤ ـ مرحلة المراهقة.

وأرى من المفيد ذكر لمحة موجزة عن كل مرحلة من هذه المراحل لأنها تنسجم مع بحثي، فالآيات القرآنية والأحاديث النبوية وآراء العلماء التي سأعرضها في فقرات البحث القادمة ـ إن شاء الله ـ تنطوي على كثير من المعاني والأمور التي سأشير إليها.

١ ـ مرحلة ما قبل الولادة:

وتبدأ منذ الحمل إلى الولادة ومدتها تسعة أشهر، ولما كانت حياة كل فرد تبدأ منذ حمله في بطن أمه فإن مرحلة الحمل تعد من الطفولة أيضاً وتخضع هذه المرحلة للعناية والتربية كما تخضع لها حياة الطفل الحقيقية على وجه الأرض. فقد ثبت أن الجنين يتأثر بالظروف التي تمر بها الأم من ناحية الضرر أو النفع، وعلى ضوء هذا التأثير تفسر الفروق الفردية بين الأخوة، كما تشترك في تفسيرها عوامل الوراثة أيضاً[١].

٢ ـ مرحلة الطفولة الأولى:

وتمتد من الولادة الى السابعة أو السادسة من العمر، وتسمى بمرحلة ما قبل المدرسة، وتعد السنتان الاولى والثانية منها عظيمة الأهمية نظراً لما يحدث فيها من نمو جسمي وعقلي ووجداني، يعد أساساً لكل ما يلي ذلك من نمو، إذ ينمو الطفل جسمياً في هاتين السنتين الى ثلاثة أمثال

(١) أبناؤنا. وسائل العناية بهم صحياً وتربوياً ـ حسن ملا عثمان ص ٥ نشر دار الفكر بدمشق ـ بإشراف وزراة الثقافه السورية ١٩٦١ م.

وزنه عند الولادة، كما ينمو الدماغ نمواً لا يعادله أي نمو في السنوات الأخرى. والطفل عند ولادته يتصل بالعالم الخارجي عن طريق غرائزه وحواسه، ولكنها تكون ضعيفة وغير معقدة في بادىء الأمر، ثم تقوى وتشتد بعد ذلك بتأثير التجارب والخبرات المختلفة، وعليها يعتمد في نموه من جميع النواحي العقلية والاجتماعية والخلقيه وغيرها من نواحي نموه.

٣ ـ مرحلة الطفولة الثانية:

وتمتد من السنة السابعة أو السادسة حتى الثانية عشرة وفيها ينمو الجسم ويزداد نشاطه ويكتسب قوة في العضلات ودقة في الأعمال التي تحتاج الى تكيّف حركي كالرسم والأشغال والخياطة والتطريز وغيرها، ومن الناحية العقلية يتقن الطفل المهارات اللغوية والعقلية بالتدريب عليها وبتأثير تجاربه واتساع أفقه وبيئته وبدافع غريزة حب الاستطلاع التي تنمو نمواً كبيراً في هذه المرحلة.

ومن الناحية الاجتماعية تصبح غريزة حب التملك واضحة لديه وتبدو في حرصه على الجمع والاقتناء، ومن الناحية الانفعالية يتجه نحو الإستقرار والثبات والقدرة على التغلب على المشكلات الانفعالية، إذ يستطيع أنْ يخفف من شدة تعلّقه بأبويه ويتّجه نحو اتخاذ الأصدقاء والتعرف على أوجه الحياة المختلفة.

وترجع قيمة هذه المرحلة إلى أنها مرحلة الدراسة الابتدائية التي يتفتح فيها العقل وتزدهر العواطف ويشتد الميل الاجتماعي، ويزداد نمو الجسم، ولذلك فإنها تحتاج إلى معلمين أكفياء ليعطوها حقها من العناية والرعاية[١].

---

(١) المرجع السابق ص ٢٤.

٤ ـ مرحلة المراهقة:

وتمتد هذه المرحلة من الثانية عشرة حتى الثامنة عشرة، أو إلى ما قبل ذلك بقليل، تليها مرحلة البلوغ، ويكون النمو الجسمي في هذه المرحلة سريعاً، ولذلك تبدو على المراهق النحافة في أول هذه المرحلة، ومن الناحية العقلية يزداد نمو الخيال ويصبح خصباً، ويبدو ذلك في الرسم والكتابة والتفكير الديني ويلجأ إلى المناقشة والجدل، ومن الناحية الوجدانية تزداد الانفعالات بسبب الجو الجديد الذي يشعر المراهق بوجوده فيه، ومن الناحية الاجتماعية يميل إلى تفهم حقوق الجماعة التي يعيش فيها وإلى الرغبة في أداء الواجب واتخاذ الاصدقاء[1].

ولابن سينا رأي صائب في مراحل الطفولة، فهو يرى أن الاسنان أربعة في الجملة[2]:

١ ـ سن النمو: ويسمى سن الحداثة وهو إلى قريب من ثلاثين سنة.

٢ ـ سن الوقوف: وهو سن الشباب وهو إلى نحو من خمس وثلاثين سنة أو أربعين سنة.

٣ ـ سن الانحطاط مع بقاء من القوة: وهو سن المكتهلية وهو إلى نحو من ستين سنة.

٤ ـ سن الانحطاط مع ظهور الضعف في القوة: وهو سن الشيوخ في آخر العمر.

ويرى أن سن الحداثة ينقسم كما يلي:

---

(١) المرجع السابق ص ٢٥.

(٢) ابن سينا ـ القانون في الطب ج ١ ص ٤.

١ ـ سن الطفولة: وهو أن يكون المولود بعد غير مستعد الأعضاء للحركات والنهوض.

٢ ـ سن الصبا: وهو بعد النهوض وقبل الشدة، وهو أن لا تكون الأسنان استوفت السقوط والنبات.

٣ ـ سن الترعرع: وهو بعد الشدة ونبات الأسنان قبل المراهقة.

٤ ـ سن الغلامية والرهاق: إلى أن يبقل وجه الصبي.

٥ ـ سن الفتى: إلى أن يقل النمو.

ومعنى النمو في رأي ابن سينا أنه لا يكون إلا بزيادة ما، ولا كل زيادة، ولا كل زيادة منضمّة، فإنه إذا التصق بالجسم جسم، أو زيد على ماء ماء، وكل واحد من المزيد عليها ساكن لم يستحل شيئاً وإنما انضاف اليه زيادة، فلا يكون ذلك حركة النمو. بل يجب أن يكون الشيء الباقي بالنوع تحرك بكليته إلى الازدياد بما يدخل عليه. ويضرب على ذلك مثلاً بقوله:

فإن الشيخ بعد وقوف النمو قد يسمن، كما أن النامي في سن النمو قد يهزل. وليست زيادة السمن من النمو، كما ليس نقصان الهزال من الذبول، بل يجب أن يكون ذلك الازدياد مستمراً على تناسب مؤدٍ إلى كمال النشوء، ويكون الوارد قد فسد واستحال إلى مشاكلة المورود عليه، والمورود عليه قد نما ممتداً في الأقطار متجهاً إلى كمال النشوء[1].

إن معرفة مراحل الطفولة السابقة أمر ضروري لتحديد خطوات التربية الملائمة لكل مرحلة فيها، وإن مسؤولية هذه التربية تقع على عاتق الأبوين في الأسرة، والإسلام قد حدد هذه المسؤولية، وقد بين

(١) ابن سينا ـ الشفاء ص ١٤٠.

النبي ﷺ ذلك في قوله: «ما من مولود يولد إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه»[١] وإذا كان المربون يرون أن تستمر التربية ـ بعد التربية في الاسرة ـ في المدرسة بمراحلها المختلفة، بحيث يعدّ الطفل للحياة، فإن الاسلام قد جعل العلم فرضاً على كل مسلم ولم يحدد لذلك نهاية في مرحلة من مراحل العمر ولا مكاناً معيناً، فإن مسألة طلب العلم من المهد إلى اللحد وطلب العلم ولو في أقصى الأرض، وأن الحكمة هي ضالة المؤمن وحيثما وجدها فإنه أولى بها، إن هذه المسائل كلها من المبادىء التي انطوت عليها أحاديث الرسول ﷺ وتعاليمه الحكيمة الخالدة. ومن ناحية ثانية فإن القرآن الكريم أنزله الله دستوراً لحياة الفرد والاسرة والمجتمع والانسانية عامة.

قال الله تعالى: ﴿ إنّ هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم﴾[٢]، وقال: ﴿ قل هو للذين آمنوا هدىً وشفاء﴾[٣] ولذلك فإن النظام التربوي الذي وضعه الله تعالى للناس هو النظام الكامل الوحيد الصحيح، لأنه صادر عن الله الكامل رب العالمين، العالم بما يصلح البشر. والمربون المسلمون الذين اقتبسوا مناهجهم التربوية من مبادىء الاسلام ونظمه سلكوا السبيل الصحيح وهدوا إلى صراط مستقيم.

أمّا المربون غير المسلمين فقد أصابوا في بعض آرائهم وأخطأوا في كثير منها لأنهم بشر يخطئون ويصيبون، فما اتفق من آرائهم مع الفطرة السليمة كان صائباً وصحيحاً، وما خرج عن ذلك كان فاسداً خاطئاً.

ونحن إذا ذكرنا التربية ذكرنا الطفولة والأطفال لأن التربية تبدأ مع

(١) البخاري كتاب ٢٣ باب ٢٣ ـ عن مفتاح كنوز السنة.
(٢) سورة الاسراء ٩.
(٣) سورة فصلت ٤٤.

الطفولة. وفي هذا العصر إزداد اهتمام المربين والمفكرين بالطفل وأكثروا من الكتب والرسائل والمقالات حول تربية الطفل، كما اهتمت الدول عن طريق هيئاتها المختلفة بصحته وتغذيته وتربيته وتنشئته التنشئة الصحيحة، ومن أجل هذا أطلقوا على هذا العصر ـ القرن العشرين ـ «عصر الطفل».

وجاءت أخيراً رغبة منظمة الأمم المتحدة بتخصيص عام للطفولة تتويجاً لتلك المشاعر العامة وتعبيراً صادقاً عما يحتله الطفل من مكانة ومنزلة لدى العالم أجمع. وكان ذلك عام ١٩٧٩ م، حيث دعت جميع دول العالم للمشاركة بالاحتفالات بالطفولة في ذلك العام الذي أطلقوا عليه «عام الطفولة الدولي» وقد دعيت رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة للإسهام في هذه الاحتفالات لإظهار وجهة نظر الاسلام في الطفولة بتقديم الدراسات والبحوث في هذا المجال.

وسأبين في هذا الكتاب مكانة الطفولة في الاسلام وأسس تربية الطفل، مستشهداً بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية وأقوال العلماء والمربين المسلمين التي تنير الطريق لكل من يريد التوسع في هذا المجال من البحوث والدراسات، والله أسأل أن يوفقني لإبراز هذا الموضوع بالصورة اللائقة التي يستحقها، وأن يحقق به النفع والخير لكل باحث وقارىء، وهو الهادي إلى سواء السبيل.



الفصل الأول

مكانة الطفولة في الإسلام



١- اهتمام القرآن الكريم بالطفولة

القرآن الكريم دستور خالد شامل لجميع نواحي الحياة، أنزله الله ليكون هداية للناس ومصدر خير وسعادة للبشرية عامة، وقد رسم الله تعالى لعباده الطريق المؤدي إلى الفوز والنجاة في الدنيا والآخرة وبيّن لهم ما يصلحهم وما يضرهم في جميع مراحل حياتهم منذ ولادتهم إلى أن تنقضي آجالهم في هذه الدنيا، بل إن الله سبحانه وتعالى بيّن كيف بدأ خلق الانسان من طين ثم جعل نسله من ماء مهين، وكيف يتطور خلقه من حال إلى حال في بطن أمه إلى أن يولد فيكون ضعيفاً، ثم ينمو ويقوى ثم يضعف ويموت.

وأرى في هذه الفقرة ـ عرض الآيات المتعلقة بجانب هام من مراحل خلق الانسان وهي:

أ ـ مرحلة خلق الانسان وأطوار ما قبل الولادة من حياة الطفل.

يقول الله تعالى:

﴿يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر في الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلاً ثم لتبلغوا أشدكم﴾[١].

---

(١) الحج: ٥.

يهمنا في هذه الآية الكريمة أن نشير إلى قوله تعالى: ﴿ثم نخرجكم طفلاً، ثم لتبلغوا أشدكم﴾، حيث أوجز مرحلة الطفولة والشباب بكلمات معدودة، ونسب إلى الأفراد أنفسهم مرحلة انتقالهم من سن الطفولة إلى هذه المرحلة الراقية من حياتهم ﴿لتبلغوا أشدكم﴾، بينما ينسب إلى ذاته سبحانه تكوين المراحل السابقة في قوله: إنا خلقناكم من تراب.. ثم.. لنبين.. ونقر.. ثم نخرجكم.. وأرى أن في هذا إشارة إلى أن الله جلت قدرته قد زوّد الطفل - في مراحل تكوينه السابقة - بقدرات واستعدادات بعضها مادي ظاهري، مثل الحواس والقدرة على الحركة والعمل، وبعضها معنوي خفيّ مثل الغرائز والدوافع، والقدرة على الفهم والتفكير وسائر الاستعدادات الفطرية التي يستخدمها لشق طريقه في الحياة وبلوغه تلك المرتبة المتقدمة من مراتب النمو والنضج. قال تعالى:

﴿والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون﴾[1].

وقد شرح الامام النسفي معنى ﴿ثم لتبلغوا أشدكم﴾.

بقوله:

«ثم نربيكم لتبلغوا كمال عقلكم»[2]، والحقيقة أن تربية الله سبحانه للأفراد ناشئة عن تلك الاستعدادات الفطرية التي أشرت إليها، ويؤيد هذا قوله تعالى: ﴿وهديناه النجدين﴾[3] أي معرفة طريق الخير وطريق الشر، والآيتان اللتان تسبقان هذه الآية تؤكدان أهمية الاستعدادات والقدرات التي أودعها الله سبحانه وتعالى لدى الطفل

(١) النحل: ٧٨.
(٢) تفسير النسفي ج ٣ ص ٢٦٢.
(٣) البلد: ١٠

ليتمكن من تلك المعرفة، قال تعالى: ﴿ألم نجعل له عينين ولساناً وشفتين﴾ فالعينان واللسان والشفتان من بعض الوسائل التي تمكنه من بلوغ تلك المعرفة.

وفي آية أخرى يذكر الله تعالى مرحلة خلق الإنسان فيقول:

﴿ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين، ثم جعلناه نطفة في قرار مكين، ثم خلقنا النطفة علقةً فخلقنا العلقة مضغةً فخلقنا المضغة عظاماً فكسونا العظام لحمًا ثم أنشأناه خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين، ثم إنكم بعد ذلك لميتون، ثم إنكم يوم القيامة تبعثون﴾(١).

هنا يوجز الخالق سبحانه مرحلة حياة الانسان بعد الولادة ويعبر عن ذلك بجملة واحدة هي ﴿ثم أنشأناه خلقاً آخر﴾.

إن هذا الخلق الآخر يبدأ بتكوين الجنين تكويناً تاماً في بطن أمه. ويرى الامام النسفي في تفسير هذه الآية(٢): (أن الله خلقه خلقاً مبايناً للخلق الأول حيث جعله حيواناً وكان جماداً، وناطقاً وسميعاً وبصيراً، وكان بضد هذه الصفات). إن هذا القول يعتمد على الظاهر، لأن الخلق الأول لم يكن جماداً في الحقيقة، وإنما كانت الحياة موجودة فيه بشكل خفيّ لا تُدرك بالعين وقد أثبتها العلم بوسائله وتجاربه. أما إذا أريد بالخلق الأول التراب فالمعنى واضح.

والحقيقة أن هذا الخلق الجديد فيه كل مظاهر الابداع والقدرة، فالتراب، خلق الله منه انساناً ثم خلق من نطفة الانسان نسله وفي النطفة حياة أو قابلية للحياة تنمو وتتطور بقدرة الله وتقديره، ولذلك قال تعالى بعد ذلك ﴿فتبارك الله أحسن الخالقين﴾ ثم قال: ﴿ثم إنكم بعد ذلك

---

(١) المؤمنون: ١٢ -١٦

(٢) تفسير النسفي ج ٣ ص ٢٨٩.

لميتون﴾، وأرى أن الخلق الآخر لعله يشمل جميع مراحل العمر، وأن القسم الأخير من آية سورة الحج السابقة يؤيد ذلك، حيث يقول تعالى: ﴿...ثم لتبلغوا أشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئاً، وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج، ذلك بأن الله هو الحق وأنه يحيي الموتى وأنه على كل شيء قدير، وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور﴾. ففي هذه الآيات بعض التفصيل لمراحل الخلق ثم البعث بعد ذلك. أما آية سورة المؤمنون فمراحل الطفولة والحياة فيها مضمرة تشير إليها جملة ﴿ ثم أنشأناه خلقاً آخر﴾ ثم ختام الآية ﴿ثم إنكم بعد ذلك لميتون ثم إنكم يوم القيامة تبعثون﴾، حيث اكتفى الله سبحانه وتعالى بقوله ﴿ثم أنشأناه خلقاً آخر﴾، أي حياً نامياً ثم وُلد بعد ذلك وتغذى ونما وأصبح قادراً على الحركة والكلام والعمل والتصرف في شؤون الحياة بفضل ما زوده الله من سمع وبصر وعقل، إلى أن يستوفي أجله في هذه الدنيا حيث يموت ويحاسبه الله على ما قدّم من خير أو شر. ﴿ثم إنكم بعد ذلك لميتون﴾.

وفي مقام آخر من القرآن الكريم تُعرض مرحلة الخلق الأول والحياة ثم البعث بايجاز شديد بقوله تعالى:

﴿والله أنبتكم من الأرض نباتاً، ثم يعيدكم فيها ويخرجكم إخراجاً﴾[١].

ومثل هذا في قوله تعالى:

﴿ فلينظر الانسان ممَّ خلق، خلق من ماء دافق، يخرج من بين الصلب والترائب، إنه على رجعه لقادر، يوم تبلى السرائر﴾[٢].

---

(١) نوح - ١٧ - ١٨.

(٢) الطارق - ٥-٩.

وقوله:

﴿ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد﴾[١].

ففي هذه الآيات عرض الله سبحانه وتعالى مرحلة خلق الانسان الأول وحمله وولادته وحياته بلمحة خاطفة في كلمات معدودة:

﴿والله أنبتكم من الأرض نباتاً﴾، ثم عرض بعد ذلك بعث الناس وحسابهم في كلمات معدودة كذلك ﴿ثم يعيدكم فيها ويخرجكم إخراجاً﴾.

ما أروع هذه الصورة التي يعرض الله سبحانه وتعالى فيها قصة الانسان كلها منذ خلقه أي منذ خلق آدم من تراب - إلى أن يموت ويبعث - في جملتين اثنتين فقط، وإني لألمح في هذا إشارة عميقة إلى أن الله جلت حكمته يريد أن يؤكد للناس تفاهة هذه الحياة وقصر مدتها في عمر الانسان، وإنها لا تُذكر إذا قيست بالآخرة، قال تعالى:

﴿وإن الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون﴾[٢].

وإني عندما أقرأ هاتين الجملتين تمرُّ في مخيلتي حوادث وصور ومشاهد لا حصر لها، فكأن هذا الايجاز تذكير لنا بقدرة الله على الخلق والابداع، تلك القدرة العجيبة اللامتناهية التي كشف العلم الحديث عن بعض جوانبها - بتعليم الله العليم - في جميع عمليات الخلق والتفاعل والتطور، إن الله تعالى يجمع في ذرة صغيرة متناهية الصغر - لا ترى بالعين أو لا ترى حتى بالمجهر - حياة انسان أو حيوان، أو نبات، أو يجمع في الجوهر الفرد لكل جسم مادي قوةً هائلةً تظهر عند تفكك ذلك

(١) ق - ١٦.
(٢) العنكبوت - ٦٤

الجوهر وتحطُّمه، يحصل ذلك عند إخضاع هذا الجوهر لعمليات كيميائية وفيزيائية معقدة تُعرف بعلم الذرة، والذرة نظامٌ عجيب تمثّل اختصاراً هائلاً لنظام الكون في حركة شموسه وكواكبه حول مركز معين في دورانٍ منتظمٍ دائمٍ، نواةٌ تدور حولها كهاربُ، هذا تركيب كل جسم مادي ﴿صنع الله الذي أتقن كل شيء﴾[1] وقد مكّن الله بعض العلماء من معرفة بعض أسرار هذا التركيب، فاكتشفوا ما سموه بالطاقة الذرية، وهي أعظم طاقة اكتشفها الانسان، استخدمها أولاً في تدمير البشر ثم في بعض الأعمال النافعة.

ونعود إلى الآيات الأخرى وهي قوله تعالى:

﴿فلينظر الانسان مم خلق..﴾، وقوله ﴿ ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه...﴾، فنجد فيها تصويراً للمشهد ذاته بأسلوب آخر يُظهر إعجاز القرآن ويبيّن الحكمة من عرض الفكرة الواحدة مكررة مفصلة مرة، وموجزة مرة أخرى، وبإشارة عابرة أحياناً ـ ﴿ فتبارك الله أحسن الخالقين﴾، ﴿كل شيء عنده بمقدار﴾.

وفي مكان آخر يتحدث الله جل جلاله عن خلق الانسان ـ الذكور والاناث، فيقول: ﴿ لله ملك السماوات والأرض يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء إناثاً ويهب لمن يشاء الذكور، أو يزوجهم ذكراناً وإناثاً، ويجعل من يشاء عقيماً إنه عليم قدير﴾[2].

فالذكر والأنثى من خلق الله ولا فضل لجنس على جنس من ناحية الخلق، حكمة الله تقتضي توزيع الذكور والاناث من الأولاد على عباده، إنه عليم قدير، ويجعل من يشاء عقيّا محروماً من الذكور والاناث معاً.

(١) النمل ـ ٨٨

(٢) الشورى: ٤٩ ـ ٥٠.

فالله تعالى يبين منزلة الأولاد بالنسبة للانسان وأنهم من النعم التي يهبها الله للأبوين. والآية تشير إشارة دقيقة إلى حالات الأُسر في المجتمعات البشرية المختلفة من حيث وجود الأولاد، وتصنف هذه الأسر إلى أربعة أصناف:

١ ـ أسرة لها أولاد ذكور.
٢ ـ أسرة لها أولاد اناث.
٣ ـ أسرة لها أولاد ذكور وإناث.
٤ ـ أسرة لا أولاد لها.

ومن الخير للذين يتفاخرون بكثرة اولادهم الذكور والذين يظهرون اعتزازهم بأنهم يملكون البنين والبنات، أن يكفوا عن ذلك، ويحمدوا الله على ما رزقهم، ومن الحكمة كذلك ألّا يقنط من رحمته وعطائه وألا يتضايق من رزقه الله البنات فقط، أو من حرم من البنين والبنات معاً، وليعلم هؤلاء أن حالهم لم يكن بتدبيرهم، وأن أي فريق من الناس جميعاً لم يحصل على ما حصل عليه بتدبيره وجهده، ولم يُحرم مَنْ حُرم بتقصيره واهماله. إن هذه المعاني تستشفها النفس من قوله تعالى:

﴿إنه عليم قدير﴾.

فأي دواء وأي علاج يبدد الوساوس والأوهام من النفوس مثل التدبر والتأمل في المعنى العميق الذي تتضمنه هذه الآية.

﴿إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد﴾[١] وفي آية أخرى يقول تعالى:

﴿وهو الذي خلق من الماء بشراً فجعله نسباً وصهراً وكان ربك قديراً﴾[٢].

(١) ق: ٣٧.
(٢) الفرقان: ٥٤.

ومعنى ذلك أن الله أراد تقسيم البشر إلى قسمين: ذوي نسب أي ذكوراً، ينسب اليهم فيقال: فلان بن فلان، وفلانة بنت فلان، وذوات صهر، أي إناثاً يصاهر بهن، كقوله تعالى:

﴿فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى﴾[١].

ثم قال: ﴿وكان ربك قديراً﴾ حيث خلق من النطفة الواحدة بشراً نوعين ذكراً وأنثى[٢] وقيل: فجعله (نسباً) أي قرابة، (وصهراً) أي مصاهرة، يعني الوصلة بالنكاح من باب الانساب، لأن التواصل يقع بها وبالمصاهرة لأن التوالد يكون بها.

وهناك آيات أخرى يشير الله تعالى فيها إلى عملية خلق الانسان وعنايته به. من ذلك قوله تعالى:

﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء﴾[٣]. فبين الله سبحانه خلق الناس جميعاً من نفس واحدة أي إنسان واحد هو آدم أبو البشر ومنه خلق زوجه حواء، وبث منهما رجالاً كثيراً ونساءً، ثم قال: ﴿واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً﴾. تتضمن هذه الآية واجبات الأفراد بعضهم نحو بعض في الأسرة والمجتمع والحياة بصورة عامة وأن الله سيحاسبهم على كل ما يعملون ﴿إن الله كان عليكم رقيباً﴾، ففي هذه اللمحة السريعة عرض الله سبحانه وتعالى خلق الانسان وتكوينه الأسر والمجتمعات وما يصدر عنهم من أعمال، ثم محاسبتهم على ما يعملون.

---

(١) القيامة ـ ٣٩.
(٢) تفسير النسفي ـ ج ٣ ص ٢٦٢.
(٣) النساء ـ ١.

وفي الآية الآتية يعرض الموضوع بشيء من التفصيل:

﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾[1]. أي أن الناس يرتدّون إلى خالقهم فيحسون المشاركة في الانسانية، فهم جميعاً قد صدروا عن ارادة الله، ثم هم جميعاً خلقوا من نفس واحدة وتقوم بينهم أواصر الانسانية والتعاون والمحبة، ولا يقوم بينهم النزاع والشقاق[2].

ب ـ الطفولة في نظر الآباء والأمهات وحقوق الأطفال وواجباتهم

لقد بين الله تعالى في القرآن الكريم جانباً آخر من جوانب الطفولة بالاضافة إلى النواحي السابقة التي مضى الحديث عنها، وهذا الجانب يتعلق بمنزلة الطفل لدى والديه وأثره في حياتهما وما ينشأ عن ذلك من متعة وسعادة للوالدين وللأهل جميعاً أو ما يعود عليهم من مشكلات وفتن وأضرار. والقرآن الكريم إذ يعرض هذه الصورة في آيات كثيرة يهدف من ذلك إلى تذكير الناس بألّا يصرفهم أبناؤهم عن طاعة الله ومرضاته بدافع حبهم العظيم لهم، كما يقرر الله سبحانه أن الأولاد نعمة كبيرة ولهم منزلة كبيرة عند آبائهم ولكن الله سيحاسب هؤلاء الآباء على هذه النعمة إن هم فرطوا فيها واغتروا بها.

قال الله تعالى:

﴿المال والبنون زينة الحياة الدنيا﴾[3]. تشير هذه الآية إلى المنزلة الكبيرة التي جعلها الله للأبناء في نفوس الآباء والأمهات، وقد قرن ذلك بالمال ذي المنزلة العالية في النفس. وفي الأموال والأولاد كان يتنافس

(١) الحجرات ـ ١٣.
(٢) منهج التربية الاسلامية ـ محمد قطب ص ٢٢٣.
(٣) الكهف: ٤٦.

الناس منذ القديم، قال تعالى: ﴿ وقالوا نحن أكثر أموالاً وأولاداً﴾[١].

وفي آية أخرى يذكر الله تعالى البنين ويعدّهم من الشهوات التي زين للناس حبها فقال: ﴿زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين. . .﴾[٢].

وفي مجال آخر يمنُّ الله على عباده ويذكرهم بفضله عليهم ويعد الأولاد إحدى النعم الكبرى التي أمدَّ الله بها عباده فيقول:

﴿وأمددناكم بأموال وبنين﴾[٣].

﴿أمدكم بأنعام وبنين﴾[٤].

﴿وجعلت له مالاً ممدوداً، وبنين شهوداً﴾[٥]. ﴿ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جناتٍ﴾[٦] ﴿كانوا أشد منكم قوة وأكثر أموالاً وأولاداً﴾[٧].

﴿ أيحسبون أنما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون﴾[٨].

تدل الآيات المذكورة على مكانة الأولاد عند الناس، وأن هؤلاء الأولاد هم موضع الفخار بهم من حيث الكثرة، وموضع الاعتزاز بهم من حيث القوة، ولكن نعمة الأولاد هذه ليست نعمة في ذاتها بالنسبة للآباء

---

(١) سبأ: ٣٥.
(٢) آل عمران: (١٤).
(٣) الاسراء: ٦
(٤) الشعراء: ١٣٣
(٥) المدثر: ١٢-١٣.
(٦) نوح: ١٢.
(٧) التوبة: ٦٩.
(٨) المؤمنون: ٥٥.

إذا نسي هؤلاء ربهم وبارزوه بالمعاصي والفساد في الأرض، وفي الآيات السابقة توبيخ ضمني وتأنيب شديد لأولئك الذين لا يشكرون الله على ما أمدهم به من الأموال والأولاد.

ومن ناحية أخرى فإن الولد كما يكون نعمة فقد يكون نقمة على أهله إذا لم يحسنوا تربيته، أو قدر الله ذلك على الولد بما لديه من الاستعدادات، وبما يلقى من انحراف في التربية والتوجيه بتأثير الصحبة مثلاً أو بتأثير القدوة في المدرسة والمجتمع.

وفي هذا يقول تعالى: ﴿.. إنما أموالكم وأولادكم فتنة والله عنده أجر عظيم﴾[1].

ويقول تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا إن من أزواجكم وأولادكم عدواً لكم فاحذروهم وإن تعفوا وتصفحوا وتغفروا فإن الله غفور رحيم﴾[2]. وفي معنى هذه الآية يقول ابن عباس: «كان الرجل يسلم فإذا أراد أن يهاجر منعه أهله وولده وقالوا ننشدك الله تذهب فتدع أهلك وعشيرتك وتصير إلى المدينة بلا أهل ولا مال، فمنهم من يرقّ لهم ويقيم ولا يهاجر، فأنزل الله تعالى هذه الآية»[3].

وقال عكرمة عن ابن عباس «وهؤلاء الذين منعهم أهلهم عن الهجرة لما هاجروا ورأوا الناس قد فقهوا في الدين هموا أن يعاقبوا أهليهم الذين منعوهم»، فأنزل الله تعالى: ﴿وإن تعفوا وتصفحوا وتغفروا فإن الله غفور رحيم﴾[4].

وقد خصص الامام النووي في رياض الصالحين باباً تحت عنوان:

---

(١) التغابن: ١٥.

(٢) التغابن - ١٤.

(٣) أسباب النزول للواحدي النيسابوري. عالم الكتب - بيروت ص ٣٢٢ مصور عن نسخة مطبوعة بمصر عام ١٣١٦ هـ.

(٤) المصدر السابق ص ٣٢٣.

(باب وجوب أمره أهله وأولاده المميزين وسائر من في رعيته بطاعة الله تعالى ونهيهم عن المخالفة ومنعهم من ارتكاب مَنْهيّ عنه)[١]. قال تعالى:

﴿يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً﴾[٢].

والآباء إن سلكوا هذا الطريق فإن أبناءهم يكونون لهم زينة وعوناً وفخراً وقوة، لأن الأب إذا أمر أبناءه بطاعة الله فإنه ينقذهم من عذاب الله إن هم استجابوا وعملوا بما يرضي الله وعندئذ يصبح الأولاد نعمة كالمال إذا أنفقه مالكه في وجوه الخير وطاعة الله، وأدى حق الله فيه..

وبما أن نفوس الآباء والأمهات قد جبلت على محبة الأولاد والتضحية في سبيلهم فإنهم كثيراً ما يعجزون عن مخالفة كثير من مطالبهم ولو كانت في غير مرضاة الله، فيصبح هؤلاء الأبناء في هذه الحالة. وبالاً على آبائهم ومصدر شر وإزعاج لهم. وهذا ما يفعله العدو بعدوه ولذلك سماهم الله عدواً في الآية: ﴿إن من أزواجكم وأولادكم عدواً لكم...﴾، وإذا كان لهذه الآية سبب معين للنزول ـ كما سبقت الاشارة اليه في قول ابن عباس ـ فإن ما يشبه ذلك السبب يتكرر في كل زمان ومكان من قبل كثير من الأولاد نحو أبنائهم ومن قبل الأزواج نحو أزواجهم، وذلك في صور شتى، والله تعالى أنزل هذه الآية ليعمل بها المسلمون على الدوام ليكونوا حذرين من طغيان عاطفة الأبوة على تصرفاتهم وبذلك لا تحول مكانة الأبناء لدى آبائهم بأن يغضب الآباء ربهم في سبيل مرضاة أبنائهم..

---

(١) منهل الواردين ـ شرح رياض الصالحين ص ٢٤١.

(٢) التحريم: ٦.

حقوق الطفل وواجباته

بيّن الله سبحانه وتعالى حقوق الأطفال وواجباتهم في كثير من الآيات الكريمة تقديراً للمرحلة التي يمرون فيها وبياناً لأهمية دورهم في الحياة لأنهم عماد المستقبل، ومن الملاحظ أن العناية الشديدة من الله سبحانه وتعالى قد وجهت للأطفال الذين وجدوا في ظروف غير طبيعية لتحفظ حقوقهم، أما في الحالات الطبيعية، أي في الحالات التي يعيش فيها الطفل في كنف الأسرة، فقد ترك الله تعالى أمر التصرف فيها الى الأب والأم - المدفوعين بالغريزة - إلى تربيتهم والعناية بهم، كما أن القرآن الكريم قام بالدرجة الأولى بتحريم بعض العادات الجاهلية السيئة الضارة بالأطفال مثل وأد البنات، وحرمان النساء والأطفال من الإرث، وغير ذلك. وسأوضح هذه النواحي فيما يلي بشكل مفصل.

حقوق الطفل

إن أول مظهر من مظاهر حقوق الطفل هو حقه في الحياة، فقد كان هذا الحق غير مصان في الجاهلية، إذ كان وأد البنات شائعاً لدى كثير من قبائل العرب خشية الفقر أو العار، ولعل بعضهم كان يئد البنين أيضاً، فأعلن الله سبحانه وتعالى تحريم ذلك العمل، وأنزل آيات من القرآن الكريم تقرر حق الطفل في الحياة، من ذلك قوله تعالى: ﴿ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم إن قتلهم كان خطئاً كبيراً﴾[١].

وقال أيضاً: ﴿قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً، ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم﴾[٢].

---

(١) الاسراء - ٣١.

(٢) الأنعام - ١٥١.

وقال: ﴿قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفهاً بغير علم وحرموا ما رزقهم الله افتراء على الله قد ضلوا وما كانوا مهتدين﴾[١].

وبعد ذلك حث القرآن الكريم على العناية بالطفل وحفظ حقوقه، والأب والأم هما اللذان يقومان بتوفير ذلك، بدافع غريزة الأبوة والأمومة، ولما كان الطفل عرضة لهضم حقوقه وتعرضه للمهانة والاهمال عند فقد أبيه خاصة، فقد دعا القرآن الكريم إلى حفظ حقوق الايتام في كثير من الآيات.

يقول تعالى: ﴿وآتوا اليتامى أموالهم ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم إنه كان حوباً كبيراً﴾[٢].

إن كلمة اليتامى من حقها أن تطلق على الصغار والكبار، إلا أنه قد غلب أن يسموا به قبل أن يبلغوا مبلغ الرجال فإذا استغنوا بأنفسهم عن كافل وقائم عليهم زال عنهم هذا الاسم، وهذا لا يتم إلا بعد الحلم، وعندئذ لا تجرى على أحدهم أحكام الصغار. ومعنى الآية إذن: آتوا اليتامى أموالهم بعد البلوغ، وأطلق عليهم لفظ اليتامى لقرب عهدهم بالطفولة عند بلوغهم، وفي هذا اشارة الى عدم تأخير دفع أموالهم إليهم عن حد البلوغ، أو سن الرشد منهم، وأن يؤتوها قبل أن يزول عنهم اسم اليتامى واسم الصغار.

ويؤيد هذا المعنى في ضرورة الاسراع بدفع مال اليتيم اليه بمجرد شعور كافله بأنه أصبح راشداً قادراً على التصرف في المال من حيث صرفه فيما ينفع. قوله تعالى:

﴿وابتلوا اليتامى حتى إذا بلغوا النكاح فإن آنستم منهم رشداً

---

(١) الأنعام ـ ١٤٠.

(٢) النساء ـ ٢.

فادفعوا إليهم أموالهم ولا تأكلوها إسرافاً وبداراً أن يكبروا﴾[١].

وقوله تعالى: ﴿فأما اليتيم فلا تقهر﴾[٢].

أي لا تغلبه على ماله وحقه لضعفه. وكذلك أبطل الله تعالى عادة الجاهلية في منع المرأة والطفل من الارث بقوله:

﴿للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون مما قل منه أو كثر نصيباً مفروضاً﴾[٣].

ويروى أن سبب نزول هذه الآية، أن أوس بن ثابت ترك امرأته أم كحة وثلاث بنات فزوى أبناء عمه ميراثه عنهن، وكان أهل الجاهلية لا يورثون النساء والأطفال، ويقولون لا يرث إلا من طاعن بالرماح وحاز الغنيمة، فجاءت أم كحة إلى رسول الله ﷺ فشكت، فقال ارجعي حتى أنظر ما يحدث الله، فنزلت الآية، فبعث إليها «لا تفرقا من مال أوس شيئاً، فإن الله تعالى قد جعل لهن نصيباً»، ولم يبين حتى نزلت الآية ﴿يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين﴾، فأعطى أم كحة الثمن والبنات الثلثين والباقي ابني العم[٤].

وفي مجال الحث على حسن معاملة اليتيم والاهتمام بشؤونه وردت آيات، منها، قوله تعالى: ﴿كلا بل لا تكرمون اليتيم، ولا تحاضّون على طعام المسكين، وتأكلون التراث أكلاً لما﴾[٥].

أي أن الله أكرم هؤلاء بالغنى ولكنهم لا يؤدون ما يلزمهم فيه من اكرام اليتيم بالمبرة والاحسان، ومن ناحية ثانية ذكر الله صفة ذميمة

---

(١) النساء ـ ٦.
(٢) الضحى ـ ٩.
(٣) النساء ـ ٧.
(٤) النسفي ج ١ ص ٢٩٣.
(٥) الفجر ١٧-١٩.

أخرى لهم وهي عدم حض أهلهم على اطعام المسكين، وأكل الميراث بالباطل ﴿أكلاً لما﴾ أي جمعا بين الحلال والحرام، لأنهم كانوا لا يورثون النساء ولا الصبيان ويأكلون تراثهم مع تراثهم.

من هذا القبيل أيضاً قوله تعالى: ﴿فلا اقتحم العقبة، وما أدراك ما العقبة، فك رقبة، أو إطعام في يوم ذي مسغبة، يتيمًا ذا مقربة، أو مسكيناً ذا متربة، ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة﴾[1].

أي أن هذا الانسان لم يشكر تلك الايادي والنعم والأعمال الصالحة من فك الرقاب، أي عتق العبيد، أو اطعام اليتامى والمساكين.

ويقول أيضاً:

﴿أرأيت الذي يكذب بالدين فذلك الذي يدع اليتيم، ولا يحض على طعام المسكين﴾[2].

ومعناه: هل رأيت الذي يكذب بالدين؟ فذلك الذي يدع اليتيم وإن لم تعرفه فهو ذلك الذي يكذب بالجزاء، هو الذي يدع اليتيم، أي يدفعه دفعاً عنيفاً بجفوة وأذى، ويرده رداً قبيحاً بزجر وخشونة، وهذا تقريع ما بعده تقريع لمن يؤذي اليتيم ولا يحسن اليه ويرعاه، إذ لو أن هذا الانسان آمن بالجزاء والحساب يوم القيامه وأيقن بالوعيد لخشي الله وعقابه ولم يقدم على ذلك، فحين أقدم عليه دلَّ على أنه مكذب بالجزاء.

ويقول الشهيد سيد قطب في ظلال القرآن[3]: «إن هذا الدين ليس دين مظاهر وطقوس، ولا تغني فيه مظاهر العبادات والشعائر، ما لم تكن

(١) البلد ـ ١١ ـ ١٧.
(٢) الماعون ١ ـ ٣.
(٣) في ظلال القرآن ج٣ ص٢٦٣ للشهيد سيد قطب.

صادرة عن اخلاص لله وتجرد.. تبدأ هذه السورة بهذا الاستفهام الذي يوجه الى كل من تتأتى له الرؤية يرى ﴿أرأيت الذي يكذب بالدين؟﴾ وينتظر من يسمع هذا الاستفهام ليرى إلى أين تتجه الاشارة والى من تتجه ومن هو هذا الذي يكذب الدين... وإذا الجواب ﴿فذلك الذي يدع اليتيم ولا يحض على طعام المسكين﴾. وقد تكون هذه مفاجأة بالقياس الى تعريف الايمان التقليدي، ولكن هذا هو لباب الأمر وحقيقته: إن الذي يكذب بالدين هو الذي يدفع اليتيم دفعاً بعنف، أي الذي يهين اليتيم ويؤذيه والذي لا يحض على طعام المسكين ولا يوصي برعايته، فلو صدق بالدين حقاً ولو استقرت حقيقة التصديق قلبه ما كان ليدع اليتيم وما كان ليقعد عن الحض على طعام المسكين»..

ولقد حث الله على نصرة الأطفال والدفاع عنهم وتخليصهم من الظلم والاضطهاد، فقال تعالى:﴿ وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان﴾[1].

ويرى المفسرون أن الله ذكر الولدان تسجيلاً لإفراط ظلم الكفار من أهل مكة للمؤمنين حتى بلغ أذاهم الأطفال غير المكلفين إرغاماً لآبائهم وأمهاتهم، ولأن المستضعفين كانوا يشركون صبيانهم في دعائهم استنزالاً لرحمة الله بدعاء صغارهم الذين لم يذنبوا، كما فعل قوم يونس عليه السلام، وقد ورد عن ابن عباس قوله: «كنت أنا وأمي من المستضعفين من النساء والولدان».

والمستضعفون هم الذين أسلموا بمكة وصدهم المشركون عن الهجرة فبقوا بين أظهرهم مستذلين مستضعفين يلقون منهم الأذى الشديد.

وقد بين الله سبحانه وتعالى طرقاً أخرى للاحسان إلى الأيتام من

(١) النساء ـ ٧٥.

ذلك: اعطاؤهم والتصدق عليهم من مال التركة الذي لا يرثون منه، قال تعالى:

﴿وإذا حضر القسمة أولوا القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه وقولوا لهم قولاً معروفاً﴾[١]. أي أعطوهم من ذلك المال. والقول المعروف: أن يقولوا لهم «خذوا بارك الله عليكم».. ويستغلوا ما أعطوهم ولا يمنوا عليهم[٢]

ـ واجبات الأطفال[٣]

أما واجبات الأطفال حيث بداية التكاليف الشرعية، فقد وردت عدة آيات في تحديدها وتعيينها، وأرى أن الأطفال وإن بلغوا الحلم، فأنهم سيمرون بمرحلة المراهقة التي هي امتداد لمرحلة الطفولة الى أن يبلغوا مرحلة الشباب نحو سن العشرين من عمرهم. وأبين فيما يلي بعض هذه الآيات...

يقول تعالى: ﴿وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم﴾[٤] والمعنى أن الأطفال إذا بلغوا ـ بالاحتلام أو بالسن ـ أن يمنعوا من عادة الدخول بدون إذن وأن يستأذنوا في جميع الأوقات كالرجال الكبار الذين لم يعتادوا الدخول عليكم إلا بإذن. ويروي النسفي عند تفسير هذه الآية قول ابن عباس «ثلاث جحدهن الناس: الإذن كله، وقوله: إذا حضر القسمة، وإنّ أكرمكم عند الله اتقاكم، وسعيد بن جبير يقول هي منسوخة، والله ما هي بمنسوخة»[٥].

(١) النساء: ٨.
(٢) النسفي ج ١ ص ٢٩٣.
(٣) معنى الواجب هنا بالنسبة لما يشعر الطفل انه ملزم بالقيام به من أوامر المربي.
(٤) النور: ٥٩
(٥) تفسير النسفي ج ٣ ص ٣٥٦.

أما الأطفال الذين لم يبلغوا الحلم فيسمح لهم الدخول دون إذن، إلا في حالات ثلاث، حددها الله تعالى بقوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات من قبل صلاة الفجر، وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة، ومن بعد صلاة العشاء، ثلاث عورات لكم، ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن طوافون عليكم بعضكم على بعض ، كذلك يبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم﴾[١].

والأوقات الثلاثة التي طلب من الطفل الاستئذان فيها سمى الله كلاً منها عورة، لأن الانسان يختل تستره فيها، والعورة هي الخلل، ومنها الأعور أي المختل العين.

ويروى عند تفسير هذه الآية أن غلاماً من الأنصار يقال له «مدلج ابن عمرو» دخل على عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقت الظهيرة وهو نائم وقد انكشف عنه ثوبه فقال عمر: وددت لو أن الله نهى عن الدخول في هذه الساعات إلا بالاذن، فانطلق الى النبي ﷺ وقد نزلت الآية[٢].

كما أن الله سمح للأطفال الصغار الذين لم يظهروا على عورات النساء بالاطلاع على زينة المرأة، قال تعالى:

﴿ وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها، وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن إلاّ لبعولتهن - إلى قوله تعالى - أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء﴾[٣].

---

(١) النور ٥٨

(٢) تفسير النسفي ج ٣ ص ٣٥٦.

(٣) النور ٣١.

ويمكن أن نذكركذلك الآيات التي وردت في سورة لقمان، من قوله تعالى:

﴿وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه...﴾ إلى قوله ﴿واقصد في مشيك واغضض من صوتك...﴾ من آية ١٣ - ١٩، فهي تحدد واجبات الأطفال في سلوكهم.

٢- اهتمام النبي ﷺ بالطفولة

أ - مراحل خلق الطفل

أورد الامام البخاري حديثين في هذا الموضوع، الأول وضعه شارح مختصر البخاري «عبد الله بن جمرة الأندلسي» تحت عنوان «حديث خلق الجنين في بطن أمه»، ووضع الحديث الثاني تحت عنوان: «حديث خلق الإنسان في بطن أمه ونفخ الروح فيه».

الحديث الأول:

عن أنس عن النبي ﷺ قال «إن الله تعالى وكّل بالرحم ملكاً يقول يا رب نطفة يا رب علقة، يا رب مضغة، فإذا أراد الله أن يقضي خلقه قال: ذكر أم أنثى شقي أم سعيد. فما الرزق؟ فما الأجل؟ فيكتب في بطن أمه»[١].

هذا الحديث يبين لنا حالات تطور الانسان أثناء خلقه، والنسبة بين ما كان حقيقياً من تلك التطويرات على ضعفها، وبين ما يصبح عليه الانسان عندما ينمو ويكبر ويصبح في سن الرشد والتكليف، وما اجتمعت عليه هذه الصورة الحيوانية الانسانية من عظم ومخ ولحم وعصب وعروق

(١) البخاري: كتاب القدر الباب ٢، وكتاب الحيض، الباب ٢٣ وشرح مختصر البخاري لعبد الله بن جمرة الأندلسي ج ص ١٦٩ طبع دار الجيل - بيروت، وصحيح مسلم كتاب القدر، الباب الخامس.

وشعر وجلد ودم وقوة وعقل وفكر وشهوة وتصرف وبطش وما جمع فيها من حسن الصنعة كما قال تعالى: ﴿لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم﴾[1]، ثم أين نسبة ذلك الحال الأول من هذا الحال، وأين ذلك الخلق من هذه الخلقة؟ كما قال عز وجل في شأن الثمر عند تعاطي طيبه، ﴿انظروا إلى ثمره إذا أثمر وينعه﴾.

إن أحدنا لا يذكر تلك المراحل من خلقه، ولكنها حقيقة واقعة، نشاهدها نحن الكبار في تطورها، والعلم قد أوضح ذلك وما يتبعه من نمو الجنين في بطن أمه وتطوره إلى أن يولد، تحفّه عناية الله ورحمته، ذلك تقدير العزيز العليم.

الحديث الثاني:

عن عبد الله بن مسعود، قال: حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق «إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً نطفةً ثم يكون علقةً مثل ذلك، ثم يبعث الله ملكاً فيؤمر بأربع كلمات ويقال له أكتب عمله ورزقه وأجله وشقي أو سعيد، ثم ينفخ فيه الروح، وإن الرجل منكم ليعمل حتى ما يكون بينه وبين الجنة إلّا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار، ويعمل حتى ما يكون بينه وبين النار إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة»[2].

وهذا الحديث يبين أيضاً حالات تطور الانسان اثناء خلقه تحيط به عناية الله وتدبيره، كما يبين مستقبله ومصيره من حيث السعادة والشقاوة وكل ذلك في علم الله سبحانه وتعالى وما يصدر عن كل فرد من أعمال وتصرفات، وإذا كانت هذه الأعمال التفصيلية معلومة لله سبحانه وتعالى

---

(١) التين - ٤.

(٢) التجريد الصريح - مختصر البخاري - ابن المبارك ج ٢ ص ٣٥ دار الإرشاد الطبعة الثانية ١٣٨٦ هـ.

فليس معنى ذلك أن الانسان مسيّر وأنه كالريشة في مهب الريح كما يقول الجبرية، لأن كل انسان يشعر بالحرية والإرادة في تصرفاته وأفعاله. ولذلك يسأل ويُحاسب لأن الحرية شرط المسؤولية، ولو كان مسيراً ومجبراً لكان حسابه وسؤاله من قبل الله سبحانه وتعالى ظلمًا، وتعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، لذلك على الانسان العاقل أن يبعد عن ذهنه هذه الأوهام والأوهام التي قد تساوره في مثل هذه الأمور لأنه لا يدري ما سُجل عليه في علم الغيب حين أراد الله خلقه، وحين خلقه جنيناً في بطن أمه.

فتبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير، لا يُسأل عما يفعل وهم يسألون، إنه عليم حكيم.

ب - حقوق الأطفال وواجباتهم:

ورد عن رسول الله ﷺ عدد من الأحاديث تشير إلى حقوق الأطفال وواجباتهم، وفيما يلي عرض لبعض الأحاديث في هذا المجال:

١ - حقوقهم:

بينت سابقاً الآيات الكريمة المتعلقة باستنكار الله سبحانه وتعالى لتلك العادة القبيحة والجريمة الكبرى التي كانت شائعة عند بعض القبائل العربية في الجاهلية الا وهي وأد البنات، وقد استنكرها النبي ﷺ، ومما قاله في هذا المجال:

عن المغيرة بن شعبة عن النبي ﷺ قال «إن الله تعالى حرم عليكم عقوق الأمهات ومنعاً وهات، ووأد البنات، وكره لكم قيل وقال وكثرة السؤال واضاعة المال» (١) متفق عليه.

---

(١) صحيح البخاري ـ كتاب الرقاق؛ الباب ٢٢. وصحيح مسلم ـ كتاب الأقضية ـ الباب ١١. وكتاب منهل =

وفي هذا القول اعتراف صريح بحق الطفل في الحياة واستنكار الاعتداء على حياته، لأن الحياة من صنع الله. والقضاء عليها جريمة، سواء أكان ذلك موجهاً إلى صغير أم كبير.

لقد كان طبيعياً أن يشدد النبي ﷺ على استنكار هذه العادة القبيحة التي حرّمها القرآن الكريم وهي وأد البنات، مهما كانت الأسباب، فإن ذلك جريمة، لأنها تتعلق بقتل النفس التي حرم الله قتلها إلا بالحق.

وبعد إثبات الرسول ﷺ لاحترام حق الطفل في الحياة، يقرر له حقوقاً أخرى، ومن ذلك حقوقه في الانفاق عليه من قبل وليه والعناية بتربيته، وما ينشأ عن ذلك من أمور الرعاية والعناية .

يروى عن عامر أن النعمان بن بشير حدثه أن أباه انطلق به إلى رسول الله ﷺ يحمله فقال: يا رسول الله اني أشهدك أني قد نحلت النعمان كذا وكذا فقال: «أكلّ ولدك نحلت؟» قال: لا قال «فأشهد غيري». ثم قال أيسرّك أن يكونوا في البر سواء؟ قال: «بلى»، قال: «فلا اذن» [(١)].

وفي رواية أخرى «أني نحلت ابني هذا غلاماً كان لي، فقال رسول الله ﷺ: «أكلّ ولدك نحلته مثل هذا؟» فقال: لا، فقال رسول الله ﷺ «فارجعه».

وفي رواية: «أفعلت هذا بولدك كلهم؟» فقال لا، قال: «اتقوا الله واعدلوا في أولادكم». فرجع أبي فردّ تلك الصدقة.

وفي رواية أخرى: فقال رسول الله ﷺ: «يا بشير ألك ولد سوى

= الواردين شرح رياض الصالحين ـ الدكتور صبحي الصالح ص ٣٢٩. دار العلم للملايين ـ الطبعة الثانية ١٩٧٣.

(١) الأدب المفرد ـ البخاري ـ رقم ٩٣.

هذا؟ فقال : نعم . قال: أكلهم وهب له مثل هذا؟ قال: لا ، قال:فلا تشهدني اذن ، فإني لا أشهد على جور». وفي رواية «لا تشهدني على جور» (١) .

يشير هذا الحديث إلى تقرير الرسول ﷺ مبدأ العدالة في معاملة الأب لأولاده من حيث العطاء المادي، ويأمر الآباء بألا يفضلوا ولداً على آخر بالعطاء ولا يخصّوا واحداً منهم بشيء دون غيره من أولادهم لأن هذا يعد ظلمًا وجوراً.

وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت «قلت يا رسول الله هل لي في بني أبي سلمة أجر أن انفق عليهم ولست بتاركتهم هكذا ولا هكذا، إنما هم بني، فقال: نعم لك أجر ما أنفقت عليهم»(٢). إن النبي ﷺ يبين لها أن لها أجراً إن هي أنفقت على أولادها من أبي سلمة لأنهم أطفال يجب العناية بهم والاهتمام بشؤونهم لأنهم قاصرون عن الكسب وتدبير أمور معاشهم بأنفسهم، وهو بذلك قدّم مثلاً أعلى في المعاملة الحسنة ليقتدي به من يكون في مثل وضعه من الأسر.

ومن حق الطفل على الكبير أن يحسن معاملته ولا يسيء إليه، فقد روى البخاري عن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، والامام راع ومسؤول عن رعيته، والرجل راع ومسؤول عن رعيته، والرجل راع في أهله ومسؤول عن رعيته»(٣).

يستشهد شارح الحديث المذكور ـ الامام ابن جمرة الأندلسي في

(١) صحيح البخاري ـ كتاب الهبة ـ الباب ١٢ رقم ٢٠ .

(٢) صحيح البخاري ـ كتاب النفقات ـ رقم ١٩ وكتاب الزكاة رقم ٦٧ .

(٣) صحيح البخاري ـ كتاب الجمعة ـ الباب ١٨ ، والأحكام ـ الباب ٢ وبهجة النفوس في شرح مختصر البخاري ج١ ص ٤٥ لابن جمرة الأندلسي .

كتابه شرح مختصر البخاري ـ بالآية الكريمة:

﴿يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً﴾[١] وفي الآية الأخرى ﴿وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسألك رزقاً﴾[٢] فيقول: «ومما يؤيد هذا ويقوّيه قوله ﷺ «لأن يؤدب أحدكم خير له من أن يتصدق بصاع من طعام». وفي رواية: عن جابر بن سمرة: أن النبي ﷺ قال: «لأن يؤدب الرجل ولده أو أحدكم ولده خير له من أن يتصدق كل يوم بنصف صاع» [٣].

ويتابع الامام ابن جمرة قوله: لأن الولد معلق بالقلب كما قال ﷺ: «الولد مبخلة مجبنة» [٤] أي هو أقوى الأسباب في هاتين الحالتين الذميمتين في بخل الانسان وجبنه، لأن جبنه يمنعه عن انفاق المال ويرى ابنه أولى من الصدقة، وإذا خرج إلى الجهاد فقلبه مشغول بالرجوع إليه فيكون سبباً لجبنه وفراره، هذا هو الغالب، فجاء الحديث على الغالب من أحوال الناس. والمال أيضاً معلق بالقلب، ولكنّ تعلقه بالولد أكبر، وما يؤلم الولد يؤلم القلب، فجاء أدبه الذي يؤلم ابنه الذي به يتألم قلبه، أنفع له من صدقة صاع أو نصف صاع في كل يوم من طعام لأنه أشق على النفس.

٢ ـ واجباتهم:

أقصد بكلمة الواجب هنا، ما يشعر الطفل بأنه مطالب بتنفيذه من قبل المربي سواء أكان أباً أم أماً أو غيرهما وليس الواجب هنا التكاليف الشرعية، لأن الطفل غير مكلف في مثل سنّه.

---

(١) التحريم: ٦.

(٢) طه: ١٣٢.

(٣) مسند الامام أحمد ٥/٩٦.

(٤) مسند الامام أحمد ٤/١٧٢.

لقد حرص النبي ﷺ على تدريب الأطفال منذ صغرهم على شعائر الاسلام وعلى التمسك بفروضه وآدابه. ولما كانت الصلاة عماد الدين فقد حث الآباء على أن يأمروا أبناءهم بالصلاة منذ صغرهم، حتى إذا كبروا وأصبحت الصلاة مفروضة عليهم وجدوا أنفسهم يؤدونها بسهولة ويسر بتأثير العادة والألفة. فقد ورد عن النبي ﷺ أنه قال: «مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين واضربوهم عليها وهم أبناء عشر»(١).

في الحقيقة أن الطفل الصغير كالصفحة البيضاء يمكن للمربي أن ينقش عليها ما يشاء، أو هو كالعجينة يكيفها كما يريد. وقد كان النبي ﷺ عالماً بنفسية الطفل وطبيعة الطفولة. وإن سن الطفولة الأولى هي السن الملائمة لتكوين العادات الصالحة أو السيئة بتأثير المربي، حيث يشيب الانسان بعد ذلك على ما شب عليه، والنبي ﷺ لم يتعلم ذلك من أحد ولا سمعه من حكيم أو فيلسوف، ولا درسه في مدرسة أو جامعة، إنما تلقاه عن رب الناس جميعاً ومدبر شؤونهم ومعلمهم ﴿إن هو إلا وحي يوحى﴾(٢). وقد علق الاستاذ محمد قطب على الحديث السابق بقوله:

«ولا يبدأ التعليم بالعصا ولا تبدأ التربية بالعقوبة، وإنما هناك فسحة يعمل فيها الحب وتعمل فيها القدوة وتعمل فيها النصيحة وتعمل فيها الكلمة الرقيقة الحازمة في آن، فاذا لم يفلح هذا كله فلا بأس حينئذ في شيء من الشدة تقوّم الكيان، ولكنها ليست الشدة التي تفسد الكيان»(٣).

ونستدل من سيرة النبي ﷺ أنه ربى بناته وأبناء بناته لم يضرب أحداً منهم قط، وهدّد مرة جارية صغيرة بالضرب لأنها تركت عملها الذي كلفت به وذهبت تلعب مع البنات، ولكن ماذا كانت أداة الضرب؟ كانت الأداة

(١) مسند احمد بن حنبل ٤/١٧٢.
(٢) النجم: ٤.
(٣) منهج التربية الاسلامية ـ محمد قطب ص ١٤٧ ـ دار الشروق بيروت الطبعة الثانية بلا تاريخ.

سواكاً في يده ﷺ، إنه تهديد في الظاهر وباطنه المداعبة والتوجيه وتقدير ظروف الطفل وحاجته الى اللعب. [١]

والنبي ﷺ كان يدرب الأطفال منذ نعومة أظفارهم على اتباع الطرق القويمة في سلوكهم وتصرفاتهم.

روى أبو هريرة رضي الله عنه فقال: «أخذ الحسن بن علي رضي الله عنهما تمرة من تمر الصدقة فجعلها في فيه فقال رسول الله ﷺ: «كخ كخ ارم بها أما علمت أنّا لا نأكل الصدقة»؟ وفي رواية: «انا لا تحل لنا الصدقة»[٢]

قال النووي في شرح الحديث «وقوله: كخ كخ بإسكان الخاء أو كسرها مع التنوين هي كلمة زجر للصبي عن المستقذرات، وكان الحسن رضي الله عنه صبياً»[٣].

وعن أبي عميرة رشيد بن مالك قال: كنت عند رسول الله ﷺ ذات يوم فجاء رجل بطبق عليه تمر، فقال: «ما هذا؟ أصدقة أم هدية»؟ فقال الرجل: بل صدقة، فقال: «قدمها إلى القوم»، قال: والحسن يتعفر بين يديه، فأخذ تمرة فجعلها في فيه، فنظر إليه رسول الله ﷺ فأدخل إصبعه في فيه فانتزع التمرة ثم قذفها، ثم قال «إنا آل محمد لا نأكل الصدقة» [٤]

فهذا اهتمام بتصرفات الطفل وتعليم له ليعرف واجبه بشكل صحيح بعد ذلك، والنبي ﷺ لم يهمل هذا التصرف الشاذ من هذا الطفل بحجة أنه صغير لا يدرك، أو أن المخالفة وقعت في أمر يسير لا قيمة له وهو تمرة، ليعطي الناس درساً في التزام حدود الله والتمسك بالمبادىء التي قررها الإسلام وليعرفهم بقيمة النظام الذي سنّه الله لعباده في سلوكهم

(١) سيجيء عرض هذه القصة في مكانها إن شاء الله.

(٢) مختصر صحيح مسلم للمنذري من كتاب الزكاة ص ١٤١.

(٣) منهل الواردين ـ شرح رياض الصالحين ـ ٢٤٢.

(٤) مسند الامام أحمد ٣/ ٤٩٠ وطبقات ابن سعد ج ١، ص ٣٨٩.

وفي سير هذا الكون بصورة عامة، وأن كل شيء عنده بمقدار.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ لقي ركباً بالروحاء فقال: «من القوم؟» فقالوا: المسلمون. فقالوا من أنت؟ قال «رسول الله» فرفعت إليه امرأة صبياً فقالت: ألهذا حج؟ قال: «نعم ولك أجر» (١).

في هذا الحديث اهتم النبي ﷺ كذلك بسؤال هذه المرأة بالنسبة لحج الطفل الصغير، وأجابها بقوله: «نعم» تقديراً منه لأهمية توجيه الأطفال منذ صغرهم لينشأوا نشأة اسلامية، وقرر أن من يكون سبباً في تلك التنشئة الخيرة له أجر كذلك. وحج الصغير وإن كان لا يسقط الفرض عنه لأنه لم يبلغ سن التكليف إلا أنه تدريب له على فعل الخير وله أجر عليه ولمن أعانه على ذلك.

جـ ـ دور الأطفال في الأسرة والمجتمع:

يقرر النبي ﷺ أهمية الأطفال في الأسرة بالنسبة للوالدين خاصة، والأجر الكبير الذي يحصلان عليه من الله سبحانه وتعالى ـ إن هما أحسنا تربيتهم، والثواب الذي ينالها ان هما فقدا أحداً منهم بالموت.

روى البخاري ومسلم عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «ما من مسلم يموت له ثلاثة لم يبلغوا الحنث إلا أدخله الله الجنة بفضل رحمته إياهم».

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يموت لأحد من المسلمين ثلاثة من الولد لا تمسه النار إلا تحلة القسم» (متفق

(١) رواه مسلم ـ كتاب الحج ٩ حديث رقم ٤٠ ص ١٧٣ عن مختصر المنذري وفي منهل الواردين: الروحاء: مكان قرب المدينة رقم: ١٧٩.

عليه) وتحلة القسم: قوله تعالى: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾. والورود هو العبور على الصراط وهو جسر منصوب على ظهر جهنم [١].

وروى أبو داود في سننه عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «من كانت له أنثى فلم يئدها ولم يؤثر ولده عليها - يعني الذكور - أدخله الله الجنة»[٢].

والنبي ﷺ ولدت له بنات وبنون وعرف حنان الأبوة وفجع بموت أبنائه الذكور وهم في مرحلة الطفولة الأولى، نقرأ تفاصيل ذلك في السيرة النبوية في الأحاديث الصحيحة [٣]، وفيما يلي عرض لطرف من ذلك.

روى الزبير بن العوام بن خويلد قال: «ولدت خديجة له، أي للنبي ﷺ، ألقاسم وعبد الله وبلغ ألقاسم سن المشي ومات قبل أن تكمل رضاعته، ودخل النبي ﷺ على خديجة - وكان ذلك بعد النبوة - فقالت: يا رسول الله درت لبينة القاسم - تصغير لبنة تعني بقايا اللبن في ثديها - فلو كان عاش حتى يستكمل رضاعه لهوّن عليّ. فقال رسول الله ﷺ: إن له مرضعاً في الجنة تستكمل رضاعه. قالت: لو أعلم ذلك لهون عليّ، فقال رسول الله ﷺ «إن شئت أسمعتك صوته في الجنة»، فأجابت بل أصدق الله ورسوله»[٤].

وتدل رواية ابن الزبير على أن عبد الله مات صغيراً كذلك بعد النبوة، وبنات النبي ﷺ على حسب الترتيب من السيدة خديجة هن زينب، رقية، أم كلثوم، فاطمة، ثم الأولاد: ألقاسم فعبد الله [٥].

---

(١) مختصر البخاري لابن المبارك - الجنائز - ج ١ ص ٩٣ وصحيح مسلم، البر ١٥٣.

(٢) سنن أبي داود - أدب: ١٢١ ومسند ابن حنبل ١/٢٢٣.

(٣) سيرة ابن هشام ص ٣٨، تهذيب عبد السلام هارون - نشر المؤسسة العربية الحديثة، الطبعة الثانية ١٣٨٣ - ١٩٦٤ والروض الأنف للسهيلي ١/١٢٣.

(٤) صحيح البخاري - كتاب الجنائز: ٩١ والأدب ١٠٩ وبدء الخلق٨.

(٥) سيرة ابن هشام ص ٣٢٢ ج٤ تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت ١٩٣٧.

وكان لخديجة أولاد من زوجيها السابقين، وأن واحداً من هؤلاء الأولاد على الأقل كان يعيش مع أمه في رعاية رسول الله ﷺ، فكتب طبقات الصحابة تترجم للصحابي هند بن أبي هالة التميمي ـ فتذكر بأنه ربيب رسول الله ﷺ أمه خديجة بنت خويلد، وكان هند فصيحاً بليغاً شهد أحداً وقيل شهد بدراً. (١)

ولقد فاضت عاطفة أبوة الرسول ﷺ على اثنين كانا له بمثابة الولد، أولهما علي بن أبي طالب حيث وسع له مكاناً في بيته وفي قلبه ثم زوجه بعد الهجرة من الزهراء أصغر بناته وأحبهن إليه. أما الثاني فزيد بن حارثة الكلبي، وكانت أمه سعدى بنت ثعلبة الطائي، أصابته خيل من بني القين ابن جسر فباعوه بسوق حباشة واشتراه حكيم بن حزام بن خويلد ثم قدمه إلى عمته خديجة (٢) التي وهبته إلى زوجها محمد ﷺ قبل البعثة فأعتقه وتبناه، وأذاع في الملأ من قريش أنه ابنه وارثاً وموروثاً فصار يدعى زيد بن محمد حتى جاء أمر الإسلام ﴿ادعوهم لآبائهم﴾ فدعي زيد بن حارثة وظل مع ذلك أثيراً عند رسول الله ﷺ مقرباً إليه عزيزاً عليه (٣).

وفي الاصابة أن رسول الله ﷺ كان يأتي أم سلمة فيقول «أين زناب؟» إشارة إلى ابنتها زينب من زوجها السابق أبي سلمة تدليلاً للصغيرة وتعبيراً عن حبه لها وإدخالاً للسرور على نفسها لتضحك وتشعر بجو الطفولة البريئة يرفرف من حولها، ومن أحق من رسول الله ﷺ بتقدير ظروف الطفل وحاجات الطفولة؟ إن الله سبحانه وتعالى قد أعده لتحمل أعباء الرسالة وتعليم الناس الخير. وقد قال عن نفسه «أدبني

(١) الاستيعاب لابن عبد البر ١٥٤٤/٤

(٢) الاصابة لابن حجر ٢٦٣/١ دار صادر ـ بيروت الطبعة الأولى ١٣٢٨ هـ.

(٣) ذكر ابن سعد في الطبقات ج ١ ص ٣٩٧ (ثم إن خديجة ملكت زيد بن ثابت بن حارث اشتراه لها حكيم بن حزام بن خويلد بسوق عكاظ بأربعمائة درهم).

ربي فأحسن تأديبي»[١].

والطفلة زينب هذه كانت قد أتت بها أمها «أم سلمة» صغيرة إلى بيت النبي ﷺ إلى أن أخذها عمار بن ياسر أخو أمها «هند» من الرضاعة، وقد كان النبي ﷺ يعد زينب من أهله، حدثوا أنه كان يوماً عند أم سلمة وابنتها زينب هناك، فجاءته الزهراء مع ولديها الحسن والحسين فضمهما إليه، ثم قال: «رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد» فبكت أم سلمة. فنظر إليها رسول الله ﷺ وسألها في حنو «ما يبكيك؟» أجابت: يا رسول الله خصصتهم وتركتني وابنتي قال: «إنك وابنتك من أهل البيت»[٢].

وولد للنبي ﷺ ابنه إبراهيم من زوجته مارية القبطية. فقد ورد في السيرة النبوية أنه لما قرب موعد الولادة دعا القابلة سلمى ـ زوجة أبي رافع ـ ثم انتحى ناحية من الدار يصلي ويدعو، فلما جاءته أم رافع بالبشرى أكرمها غاية الاكرام، وخفّ إلى مارية فهنأها بولدها ـ الذي أعتقها من الرق ـ وحمل وليده بين يديه مستثار الفرح والحب، وسماه إبراهيم تيمناً باسم جد الانبياء. وتصدق ﷺ على مساكين المدينة بوزن شعر الوليد ورقاً، وتنافست الانصار فيمن يرضعه، فاختار الرسول ﷺ مرضعةً له وجعل في حيازتها سبعاً من الماعز كي ترضعه إذا شح ثدياها[٣].

---

(١) الجامع الصغير وزيادته الفتح الكبير تحقيق الألباني رقم ٧٢ قال عنه: إنه حديث ضعيف وذكره ابن السمعاني في أدب الاملاء عن ابن مسعود، المكتب الإسلامي ١٣٨٨ هـ ١٩٦٩ م.

(٢) السمط الثمين في مناقب أمهات المؤمنين ـ محب الدين أحمد بن عبد الله الطبري ـ ٦٩٤ هـ حققه ونشره لأول مرة الشيخ راغب الطباخ الحلبي وطبعته ونشرته مكتبة التراث الإسلامي بحلب حوالي ١٩٧٠ م وهذه الطبعة لا تحمل تاريخاً وهي الطبعة الثانية ص ١٠٧.

(٣) الإصابة لابن حجر والاستيعاب لابن عبد البر ٥٥/١ وفي السيرة الحلبية جـ٣ ص ٣٠٩ طبعة المكتب الإسلامي ـ بيروت بلا تاريخ (.. ودفعه ـ أي ابراهيم ـ إلى خولة بنت المنذر لترضعه وأعطاها قطعة نخل).

ومرض إبراهيم ولمّا يبلغ من عمره عامين، وأخذت أمه تسهر على تمريضه ودعت أختها سيرين تعينها على ذلك ونفساهما تـذوب عليه حسرة وقلقا، وتألم النبي ﷺ لذلك وجزع، ودخل عليه معتمداً على يد عبد الرحمن بن عوف وحمل الصغير من حجر أمه وهو يجود بنفسه ووضعه في حجره حزين القلب وهو يقول في أسى وتسليم لقضاء الله وقدره:

«إنّا يا إبراهيم لا نغني عنك من الله شيئاً».

ودمعت عيناه وقال: «تدمع العين ويحزن القلب ولا نقول إلا ما يرضي الرب وإنّا يا إبراهيم عليك لمحزونون وإنا لله وإنا إليه راجعون» ثم قال لمارية: «إن له لمرضعاً في الجنة»[١] وحمل جثمان إبراهيم على سرير صغير وسار وراءه أبوه والصحابة إلى البقيع فصلى عليه النبي ﷺ وأضجعه بيده في قبـره، ثم سوى عليـه التراب ونـداه بالمـاء وآب المشيعون واجمين.

وقد أوصى النبي ﷺ بالعناية بالطفل وكفالته إذا كان يتيماً خاصة، فقد روى البخاري عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا وكـافل اليتيم في الجنـة هكذا وأشـار بالسبـابة والوسطى وفرج بينهما شيئاً»[٢].

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «خير بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يحسن إليه، وشر بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يُساء إليه، أنا وكافل اليتيم في الجنة كهاتين (ويشير بإصبعيه)»[٣].

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «كافل اليتيم ـ له أو

---

(١) مختصر صحيح البخاري ـ لابن المبارك ـ جـ١ كتاب الجنائز ص ١٠١.
(٢) صحيح البخاري ـ كتاب الطلاق ـ المختصر لابن المبارك جـ٢ ص ١٣٥.
(٣) الأدب المفرد ـ البخاري رقم ١٣٧.

لغيره - أنا وهو كهاتين في الجنة». . وأشار الراوي بالسبابة والوسطى[١].

وفي حديث آخر رواه البخاري ومسلم عن عائشة قالت:

«دخلتْ عليَّ امرأة ومعها ابنتان لها تسأل فلم تجد عندي غير تمرةٍ واحدةٍ فأعطيتها إياها فقسمتها بين ابنتيها ولم تأكل منها، ثم قامت فخرجت، فدخل النبي ﷺ فأخبرته فقال: «من ابتلي من هذه البنات بشيء فأحسن إليهن كن له ستراً من النار»[٢] . «ومعنى ابتلي أي اختبر».

وعن عقبة بن عامر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من كان له ثلاث بنات وصبر عليهن وكساهن من جدته كن له حجاباً من النار»[٣].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: «ما من مسلم تدركه ابنتان فيحسن صحبتهما إلا أدخلتاه الجنة»[٤].

إن تكرار النبي ﷺ لفكرة حث المسلمين على العناية بتربية البنات دليل على تأكيد مبدأ عدم التفريق بين البنين والبنات، وأنهم جميعاً أطفال وعليهم يقوم كيان الأسرة! وهم دعامة حياة المجتمع في المستقبل.

وهو من ناحية ثانية يرمي إلى أن يزيل من النفوس إزالة نهائية آثار تلك العادة الذميمة التي كانت شائعة في الجاهلية وهي احتقار البنات ووأدهن، ويذكرهم بذلك العمل المنكر الذي كانوا يفعلونه، وأن الله قد أنقذهم من خزيه وعاره وأكرمهم بنعمة الإسلام الذي هذب طباعهم وهداهم إلى الصراط المستقيم.

(١) مسند أحمد بن حنبل ٢/٣٧٥.

(٢) رواه البخاري في العتق الباب ١٤ واحمد بن حنبل في المسند ٣/١٤٨.

(٣) رواه البخاري في الأدب - الباب ١٨ وأحمد بن حنبل في المسند ٥/٣٣.

(٤) رواه أحمد بن حنبل في المسند ١/٢٣٥.

وعن أنس بن مالك: جاءت امرأة إلى عائشة رضي الله عنها فأعطتها عائشة ثلاث تمرات فأعطت كل صبيٍّ لها تمرةً وأمسكت لنفسها تمرة فأكل الصبيان التمرتين ونظرا إلى أمهما فعمـدت إلى التمرة فشقتهـا وأعطت كل صبيٍّ نصفَ تمرةٍ فجاء النبي ﷺ فأخبرته عائشة فقال: «وما يعجبك من ذلك؟ لقد رحمها الله برحمتها صبييها»[١].

وعن أبي هريرة أن امرأة أتت النبي ﷺ بصبي فقالت: أدع له، فقد دفنت ثلاثة، فقال: «احتظرت بحظار شديد من النار»[٢].

وعن خالد العبسي قال: مات ابن لي فوجدت عليه وجداً شديداً، فقلت يا أبا هريرة: أما سمعت من النبي ﷺ شيئاً تسخّى به أنفسنا عن موتانا؟ قال: سمعت من النبي ﷺ يقول: «صغاركم دعاميص الجنة»[٣].

وعن جابر بن عبد الله قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من مات له ثلاثة من الولد فاحتسبهم دخل الجنة»، قلنا يا رسول الله واثنان؟ قال «واثنان»، قلت لجابر: والله أرى لو قلتم وواحد لقال، قال: وأنا أظنه والله[٤].

هذه الأحاديث الثلاثة وأمثالها تدل على مكانة الأولاد في الأسرة وتصور مبلغ الخسارة الكبيرة التي تحل بمن يفقدهم، ولذلك وعد النبي ﷺ من صبر واحتسب من فقدهم بدخول الجنة والبعد عن النار، وهذه أكبر نعمة يتمناها المؤمـن يوم القيامة بعد رضوان الله والنظر إلى وجهه الكريم.

وكان النبي ﷺ شديد العطف على الاطفـال يقبلهم ويمازحهم

(١) الأدب المفرد ـ البخاري رقم ٧٦.
(٢) الأدب المفرد ـ رقم ١١٤.
(٣) الأدب المفرد رقم ١٤٥.
(٤) الأدب المفرد رقم١٤٦.

ويلاعبهم، ويدعو الآباء والأقارب إلى معاملة أولادهم مثل هذه المعاملة. فقد روى الإمام البخاري في الأدب المفرد عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت:

جاء إعرابي إلى النبي ﷺ فقال: أتقبلون صبيانكم؟ فما نقبلهم، فقال النبي ﷺ «أوأملك لك أن نزع الله من قلبك الرحمة؟»[١].

وهذا تقريع شديد لهذا الاعرابي الذي لا يظهر عاطفة الحب والحنان لأولاده بالتقبيل ونحوه.

وعن أبي هريرة قال: قبّل رسول الله ﷺ حسن بن علي وعنده الأقرع بن حابس التميمي جالس، فقال الأقرع: إن لي عشرة من الولد ما قبلت منهم أحداً، فنظر إليه رسول الله ﷺ ثم قال: «من لا يَرحم لا يُرحم»[٢].

بهذه الجملة الرادعة البليغة أعطى النبي ﷺ الأقرع بن حابس ومن كان معه حاضراً مجلسه درساً في العطف على الصغار والحنان عليهم لا ينسى، حيث ظلت هذه الجملة على قصرها تعمل عملها في تربية النفوس وتهذيب الطباع إلى يومنا هذا وإلى أن تقوم الساعة.

وعن أبي هريرة أيضاً قال: أتى النبي ﷺ رجل ومعه صبي فجعل يضمه إليه، فقال النبي ﷺ: «أترحمه؟» قال: نعم قال: «فالله أرحم بك منك به وهو أرحم الراحمين»[٣].

وعن أنس بن مالك، قال: ما رأيت أحداً أرحم الناس بالعيال من

(١) الأدب المفرد رقم ٩٠.

(٢) الأدب المفرد رقم ٩١.

(٣) الأدب المفرد رقم ٣٧٧.

رسول الله ﷺ، قال: كان إبراهيم مسترضعاً له في عوالي المدينة فكان ينطلق ونحن معه فيدخل البيت وانه ليضمه - وكان ظئره قيْناً - فيأخذه فيقبله ثم يرجع، قال: فلما توفي إبراهيم قال رسول الله ﷺ: «إن إبراهيم ابني وإنه مات في الثدي وإن له لظئرين تكملان رضاعه في الجنة»(١).

ذلك أسلوب جديد في الدعوة إلى رحمة الصغار والعطف عليهم وحسن معاملتهم والنبي ﷺ عبر عن رحمته بالأطفال وشعوره الخاص نحوهم بطرق مختلفة، فكان تارة يقبلهم، وتارة يسلم عليهم ويلاطفهم في الحديث، ويضمهم إليه إذا كانوا من أبنائه أو أبناء بناته، وإذا كانوا صغاراً في أيام ولادتهم الأولى يتناولهم بيديه الكريمتين ويجلسهم في حجره، ويدعو لهم ويمسح على رؤوسهم، ويضع في أفواههم شيئاً من التمر بعد مضغه، وأحياناً يناديهم بعبارات محببة إلى نفوسهم يسرون منها ويضحكون وغير ذلك من الأساليب التي تدخل البهجة على الأطفال وتنقلهم إلى جو من المرح والسعادة يكون له أعظم الأثر في حياتهم.

وسأذكر فيما يلي طائفة من الأحاديث حول هذه الموضوعات:

روى البخاري عن أبي قتادة الحارث بن ربعي قال: قال رسول الله ﷺ: «إني لأقوم إلى الصلاة وأريد أن أطول فيها فأسمع بكاءالصبي فأتجوز في صلاتي كراهية أن أشق على أمه»(٢).

في هذا الحديث يبين النبي ﷺ أنه حتى ولو كان في الصلاة لا يريد أن يشغل أم الطفل عن ابنها عندما تكون مقتدية به في الصلاة ويبكي طفلها بسبب جوع أو ألم، وتسمع الأم بكاءه وهي في الصلاة

---

(١) شرح مختصر مسلم - الحافظ المندري ص ٢١٩.

(٢) شرح رياض الصالحين - ص ٢٠٦ رقم ٢٣٠، مختصر البخاري لابن المبارك جـ ١ ص٦٥ في بدء الأذان.

فتتألم لألمه ولكنها لا تستطيع ترك الصلاة حتى تنتهي فيشق ذلك عليها، وهنا يتدخل نبي الرحمة ويعلمه ربه الحكمة فيتجوز في صلاته ويعطي الفرصة للأم لتستجيب لنداء طفلها، ويزول ما بها من قلق ومشقة، وصدق الله تعالى حيث يقول ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾[1].

ولكن النبي ﷺ يقدر ظروف الأطفال ويمازحهم ويدخل السرور على قلوبهم بحركات وتصرفات تبعث النشاط في نفوسهم وتثير عواطفهم ومشاعرهم وتدفعهم إلى صرف ما لديهم من طاقة فائضة في اللهو واللعب والحركة والكلام والصياح.

روى البخاري في الأدب المفرد عن معاوية بن أبي مزرّد عن أبيه قال: سمعت أبا هريرة يقول: سمع أذناي هاتان وبصر عيناي هاتان رسول الله ﷺ أخذ بيديه جميعاً بكفي الحسن ـ أو الحسين ـ صلوات الله عليهما، وقدميه على قدم رسول الله ﷺ، ورسول الله ﷺ يقول: «أرقه» قال فرقى الغلام حتى وضع قدميه على صدر رسول الله ﷺ ثم قال رسول الله ﷺ: «افتح فاك» ثم قبله ـ ثم قال: «اللهم أحبه فإني أحبه»[2].

وفي الأدب المفرد كذلك، عن يعلى بن مرة أنه قال: (خرجنا مع رسول الله ﷺ ودعينا إلى طعام، فإذا حسين يلعب في الطريق فأسرع النبي ﷺ أمام القوم، ثم بسط يديه، فجعل الغلام يفر ههنا وههنا ويضاحكه النبي ﷺ حتى أخذه فجعل إحدى يديه في ذقنه والأخرى في رأسه ثم أعتقه، ثم قال النبي ﷺ: «حسين مني وأنا من حسين أحب الله من أحب حسيناً، الحسين سبط من الأسباط»)[3].

---

(١) الأنبياء ـ ١٠٧.

(٢) الأدب المفرد ـ رقم ٢٤٩.

(٣) الأدب المفرد ـ ٣٦٤.

في هذين الحديثين يرسم لنا النبي ﷺ صورة رائعة لمعاملة الطفل وإدخال السرور على نفسه والنزول إلى مستواه، ومعاملته بالطريقة التي يألفها ويحبها والدخول إلى العالم الذي يحيا فيه ومشاركته لخيالاته وأحلامه وانفعالاته، فيسر الطفل بذلك أيما سرور، وبهذا تضاف الكلمات التي قالها النبي ﷺ، والحركات التي قام بها لبناتٍ إلى صرح التربية الإسلامية التي وضع هو نفسه أسس ذلك الصرح بوحيٍ من الله سبحانه وتعالى وتوجيهه، وفي هذا يقول تعالى ﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾[1] ويذكر فضله عليه ويبين منزلته العالية فيقول﴿والضحى، والليل إذا سجى، ما ودعك ربك وما قلى، وللآخرة خير لك من الأولى، ولسوف يعطيك ربك فترضى، ألم يجدك يتيماً فآوى، ووجدك ضالاً فهدى، ووجدك عائلاً فأغنى﴾[2].

وقال: ﴿ألم نشرح لك صدرك، ووضعنا عنك وزرك، الذي أنقض ظهرك، ورفعنا لك ذكرك﴾[3].

أما معاملته للصغار وأحاديثه معهم فكانت كذلك على هذا النحو من الحنان والمحبة وإثارة شعورهم بالأنس والطمأنينة والسعادة.

يقول أنس بن مالك: كان النبي ﷺ ليخالطنا حتى يقول لأخٍ لي صغير: «يا أبا عمير ما فعل النُّغير؟»[4].

وفي حديث آخر عن أنس كذلك قال: دخل النبي ﷺ فرأى ابناً لأبي طلحة يقال له أبو عمير وكان له نُغير يلعب به فقال: «يا أبا عمير

(١) القلم: ٤.

(٢) الضحى: ١ - ٨. (٣) الشرح: ١-٤.

(٤) الأدب المفرد - البخاري رقم ٢٦٩ وفي باب «لعب الصبيان بالجوز» رقم ٦٢٧ عن ابراهيم قال: كان أصحابنا يرخصون لنا في اللعب كلها عدا الكلاب (قال أبو عبد الله يعني للصبيان وعن أبي عقبة قال مررت مع أبي عمر مرة بالطريق فمر بغلمة من الحبش فرآهم يلعبون فأخرج درهمين فأعطاهم) - الأدب المفرد رقم ١٢٩٨.

ما فعل ـ أو أين ـ النُّغير؟».

يظهر لنا هذا الحـديث أسلوب النبي ﷺ في مـلاطفة الصغـار بطريقة جديدة وكأنه يحبب إلى هذا الطفل الصغير لعبه بهذا الـطائر الأليف ويجدد عليه متعته بهذا اللعب بتكراره لهذه الألفاظ العذبة التي فيها مداعبة حلوة للصغير وإثارة لعواطفه، «يا أبا عمير ما فعل النُّغير».

وفي البخاري عن عائشة: أُتيَ رسول الله ﷺ بصبي فبال على ثوبه، فدعا بماء فأتبعه إياه [١]. وعن أم قيس: أنها أتت بابن لها صغير لم يأكل الطعام إلى رسول الله ﷺ فأجلسه في حجره فبال على ثوبه فدعا بماء فنضحه ولم يغسله[٢].

وروى البخاري كذلك عن محمود بن الربيع قال: عـقلت من النبي ﷺ مَجّةً مَجّهاً في وجهي وأنا ابن خمس سنين من دلـو[٣]. وهذه طريقة جديدة في إثارة عواطف الصغار والمزاح معهم، وتحمل ما يصدر عنهم من أذى، من بول ونحوه، تؤكد الناحية الإنسانية عند النبي ﷺ، وأنه بشر ويعـرف ما لـدى البشر من غـرائز ودوافـع تقتضي الاشباع والتوجيه.

وأورد ابن سعد في باب «ذكر من محاسن أخلاقه ﷺ» قـال: أخبرنا ثابت وأبو عمران الجوني عن أنس بن مالك: بعثني النبي ﷺ في حاجة فرأيت صبياناً فقعدت معهم فجاء النبي ﷺ فسلّم على الصبيان»[٤].

وبصورة عامة فإن النبي ﷺ كان أباً حنوناً وزوجاً وفياً، أبـدى

---

(١) صحيح البخاري رقم ٨٥ (الوضوء) في باب بول الصبيان، وفي الأدب في باب وضع الصبي في الحجر. وفي الدعوات في باب الدعاء للصبيان بالبركة ومسح رؤوسهم.

(٢) مختصر البخاري ـ لابن المبارك جـ ١ص ٢٩ كتاب الوضوء.

(٣) مختصر البخاري ـ في العلم جـ ١ ص ١٧لابن المبارك.

(٤) طبقات ابن سعد جـ ١ ص ٣٨٢.

عاطفةً متدفقة نحو أولاده وأحفاده، إذ كان يسير مسافة طويلة على قدميه ويضمهم إليه ويقبلهم عند المراضع، وكان يتركهم يركبون على ظهره أثناء الصلاة، كما كان يقطع خطبته لكي يستقبلهم ويجلسهم إلى جواره على المنبر[١].

ويروي البخاري عن أبي قتادة: أن رسول الله ﷺ كان يصلي وهو حامل أمامة بنت زينب بنت رسول الله ﷺ وهي لأبي العاص بن الربيع فإذا سجد وضعها وإذا قام حملها[٢].

وعن عائشة أنها قالت: «كنت ألعب بالبنات عند النبي ﷺ، وكان لي صواحب يلعبن معي، فكان رسول الله ﷺ إذا دخل ينقمعن منه - فيسربهن إليّ فيلعبن معي»[٣] يدل هذا الحديث على أن النبي ﷺ كان يقدر ظروف السيدة عائشة في بداية زواجه منها حيث كانت صغيرة السن وتحن إلى اللعب، شأن كل طفل صبياً كان أم بنتا. وفي حديث آخر تقول السيدة عائشة: «إن النبي ﷺ كان يسرب إليَّ صواحبي يلعبن باللعب - البنات الصغار»[٤].

ففي الوقت الذي كانت البنات الصغيرات يستحيين من رسول الله ﷺ عند دخوله إلى البيت ويراهنّ في لعبهن مع زوجته السيدة عائشة، ويحسبن أنهنّ أسأن الأدب في حضرته، أو أنهن قمن بعمل لا يجوز لهن أن يفعلنه، كان النبي ﷺ يقدر في أعماق نفسه حاجات الطفولة المتعددة وضرورة التعبير عنها بأساليب مختلفة ومن أهمها اللعب، ولذلك كان

---

(١) مدخل إلى القرآن الكريم - الدكتور دراز ص ٢٤ والسيرة الحلبية جـ٣ ص ٣٠٩.

(٢) مختصر البخاري لابن المبارك - كتاب الصلاة جـ١ ص ٥٢ وصحيح مسلم (مختصر المنذري رقم ١٣٤٦).

(٣) الأدب المفرد للبخاري رقم ٣٦٨.

(٤) الأدب المفرد - رقم ١٢٩٩.

يسرّب إلى السيدة عائشة صواحبها ليلعبن معها، يفعل ذلك بطريق غير مباشرة، بالإيحاء أو الإيماء أو بالإشارة أو بأي طريقة أخرى تحقق الغرض وترضي النفس ولا تسيء إلى أحد.

وعن أم سلمة أن النبي ﷺ كان في بيتها فدعا وصيفة له ـ أولها ـ فأبطأت، فاستبان الغضب في وجهه، فقامت أم سلمة إلى الحجاب فوجدت الوصيفة تلعب ومعه سواك (أي مع النبي ﷺ) فقال: «لولا خشية القود يوم القيامة لأوجعتك بهذا السواك»[١].

إنه تهديد بالعقاب في ظاهره، ولكن أداة الضرب هي السواك، إنه تهديد أشبه بالمداعبة، لأنه قدر ظروف الطفولة ونزعتها إلى اللعب.

وكان النبي ﷺ يسر ويستبشر عندما يخبر بولادة مولود له أو لبناته أو لغيره ـ ابتهاجاً بالطفولة وتعليماً لأمته ليكوّن في نفوسهم هذا الشعور بمحبة الطفل والعطف عليه وإظهار الحنان نحوه.

يروى عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: لما ولد الحسن رضي الله عنه سميته حربا، فجاء النبي ﷺ فقال: «أروني ابني ما سميتموه؟» قلنا: حربا، قال: «بل هو حسن» فلما ولد الحسين رضي الله عنه سميته حربا فجاء النبي ﷺ فقال: «أروني ابني ما سميتموه؟» قلنا حربا، قال «بل هو حسين»، فلما ولد الثالث سميته حربا، فجاء النبي ﷺ فقال: «أروني ابني ما سميتموه؟» قلنا حربا، قال «بل هو محسّن» ثم قال: إني سميتهم بأسماء ولد هارون «بشر وبشير ومبشّر»[٢].

وكان الصحابة رضوان الله عليهم يحرصون على أن يرى النبي ﷺ أولادهم[٣] منذ ولادتهم ليضع في أفواههم بيده الكريمه شيئاً من الطعام

(١) الأدب المفرد رقم ١٨٤.

(٢) الأدب المفرد رقم ٨٢٣.

(٣) روى البخاري في الأدب المفرد والإمام أحمد في المسند جـ ص ٦ قال البخاري حدثنا أبو نعيم قال =

أو الماء أو التمر ـ التماساً للبركة ـ وطلباً للخير من عند الله سبحانه وتعالى.

فيروى عن أنس رضي الله عنه، قال: ذهبت بعبد الله بن أبي طلحة إلى النبي ﷺ يوم ولد، والنبي ﷺ في عباءة يهنأ بعيراً له[١]. فقال «معك تمرات قلت نعم فناولته تمرات فلاكهن. ثم فغر فا الصبي وأوجرهن إياه، فتلمظ الصبي، فقال «حب الأنصار التمر» وسماه «عبد الله»[٢].

وروى البخاري ـ في باب «الدعاء في الولادة» ـ عن معاوية بن قرة يقول: لما ولد لي أياس دعوت نفراً من أصحاب النبي ﷺ فأطعمتهم فدعوا، فقلت: إنكم قد دعوتم فبارك الله لكم فيما دعوتم، وإني إن أدعو بدعاء فأمنوا، قال: فدعوت له بدعاء كثير في دينه وعقله، قال: فإني لأتعرّف فيه دعاء يومئذ.

وفي باب الدعوة في الولادة روى البخاري عن بلال بن كعب العكي، قال: زرنا يحيى بن حسان البكري الفلسطيني في قريته، أنا وإبراهيم بن أدهم وعبد العزيز بن قرير وموسى بن يسار فجاءنا بطعام فأمسك موسى ـ وكان صائماً ـ فقال يحيى أمّنا في هذا المسجد رجلٌ من بني كنانة من أصحاب النبي ﷺ يكنى أبا قُرصانة أربعين سنة يصوم يوماً ويفطر يوما فولد لأبي غلام فدعاه في اليوم الذي يصوم فيه فأفطر، فقام ابراهيم فكنسه بكسائه وأفطر موسى. قال أبو عبد الله: أبو قرصانة اسمه جندرة بن خيشنة[٣].

= يحيى بن أبي الهيثم العطار قال حدثني يوسف بن عبد الله بن سلام قال (سماني رسول الله ﷺ يوسف وأقعدني على حجره ومسح على رأسي وقال الحافظ بن حجر سنده صحيح).

(١) يهنأ بعيراً له: يدهن جلده بالقطران.

(٢) الأدب المفرد رقم ١٨٤.

(٣) الأدب المفرد رقم ١٢٥٣.

يدل هذا الحديث على حرص الصحابه والتابعين على اتباع سنة النبي ﷺ في الاحتفال بالمولود وصنع طعام يدعى إليه الأصحاب، وكيف أن الصائم يفطر في مثل هذه الدعوة، أي في صوم النفل.

ويدل الحديث السابق ـ الذي رواه معاوية بن قرة ـ أن معاوية هذا بعمله أحيا سنة من سنن النبي ﷺ بهذا الطعام الذي صنعه عند ولادة مولود له، وما أصاب ابنه من خير بعد ذلك كان بفضل اتباعه لسنة النبي صلى الله عليه وسلم.

وفي البخاري في باب «من حمد الله عند الولادة إذا كان سوياً ولم يسأل ذكراً أو أنثى» قال: كانت عائشة رضي الله عنها إذا ولد فيهم مولود ـ يعني في أهلها ـ لا تسأل غلاماً ولا جارية، تقول: «خلق سويا؟» فإذا قيل: نعم، قالت: الحمد لله رب العالمين[1].

يدل هذا الحديث في قول السيدة عائشة، على عدم تفضيل الصبي على البنت فهما في نظر الإسلام سواء والمهم أن يخلق الوليد سوياً لا خلل في أعضائه ولا حواسه.

وكان ﷺ يعامل الصغار بالرفق واللين ويوصي الصحابة بذلك يروى عن أبي امامة قال: أقبل النبي ﷺ معه غلامان فوهب أحدهما لعلي صلوات الله عليه، وقال: «لا تضربه، فإني نهيت عن ضرب أهل الصلاة وإني رأيته يصلي منذ أقبلنا»، وأعطى أبا ذر غلاماً، وقال: «أستوص به معروفاً» فأعتقه، فقال: ما فعل، قال: أمرتني أن أستوصي به خيراً فأعتقته [2].

وعن أبي مسعود قال: كنت أضرب غلاماً لي، فسمعت صوتاً من خلفي «اعلم أبا مسعود الله أقدر عليك منك عليه». فالتفتُّ فإذا هو

(١) الأدب المفرد رقم ١٢٩٧.

(٢) المصدر السابق.

رسول الله ﷺ. قلت يا رسول الله فهو حر لوجه الله. فقال: «أما والله لو لم تفعل لمسّتك النار أو للفحتك النار»[1].

بهذه التوجيهات السديدة أوصى النبي ﷺ أصحابه في معاملة الصغار فكانوا يتسابقون في أساليب الإحسان إليهم والعطف عليهم بالعتق والإكرام.

لقد وعى الصحابة رضوان الله عليهم أسلوب رسول الله ﷺ في معاملة الأطفال وتقدير دورهم في الحياة، فاتبعوا سنته وسلكوا سبيله في معاملة الأطفال وتربيتهم. ولما توفي النبي ﷺ، وصلى عليه الناس لم يحرموا الصبيان في ذلك اليوم من ذلك الشرف العظيم فجعلوا لهم قسطاً من ذلك، وأتاحوا لهم الفرصة لإلقاء آخر نظرة على جثمان نبيهم المسجى أمامهم، وفاء منهم لرعايته إياهم وتوجيههم وتحمله الأذى في سبيلهم.

روى الواقدي في المغازي عن ابن عباس قال: أول من صلى عليه، يعني النبي ﷺ، العباس بن عبد المطلب وبنو هاشم ثم خرجوا ثم دخل المهاجرون والأنصار، ثم الناس رفقاً رفقا، فلما انقضى الناس دخل عليه الصبيان صفوفاً ثم النساء[2].

وعن محمد بن ابراهيم بن الحارث التميمي قال: وجدت هذا في صحيفة بخط أبي فيها: «لما كفن رسول الله ﷺ ووضع على سريره دخل أبو بكر وعمر فقالا: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، ومعهما نفر من المهاجرين والأنصار قدر ما يسع البيت، فسلموا كما سلم أبو بكر وعمر، وصفوا صفوفاً لا يؤمهم عليه أحد، فقال أبو بكر وعمر

(١) الأدب المفرد رقم ١٧١.
(٢) الطبقات الكبير - ابن سعد كاتب الواقدي - نشر سخاو مصور عن طبعة ليدن - مؤسسة النصر طهران جـ٢ ص ٦٩.

وهما في الصف الأول حيال رسول الله ﷺ: اللهم إنا نشهد أنه قد بلّغ ما أنزل إليه ونصح لأمته وجاهد في سبيل الله حتى أعز الله دينه وتمت كلماته فآمن به وحده لا شريك له، فاجعلنا يا إلـهنا ممن يتبع القول الذي أنزل معه واجمع بيننا وبينه حتى يعرفنا ونعرفه، فإنه كان بالمؤمنين رؤوفاً رحيما، لا نبتغي بالإيمان بدلاً ولا نشتري به ثمناً أبداً، فيقول الناس: آمين، ثم يخرجـون ويدخل آخرون، حتى صلوا عليه، الرجال ثم النساء ثم الصبيان، فلما فرغوا من الصلاة تكلموا في موضع قبره»[1].

لم يرزق النبي ﷺ أولاداً من غير خديجة ومارية القبطية ولعل السيده عائشة كانت ترغب أن يكون لها ولدٌ، يدل على ذلك ما رواه ابن جمرة الأندلسي في شرح مختصر البخاري قال:

«دخل النبي ﷺ على عائشة يوماً وهي تبكي فقال: ما يبكيك؟ فقالت ليس لي ما أكنى به وعادة العرب يكنون بالأكبر من بنيهم، فقال لها: «تكني بابن أختك عبد الله». فجعل ابن أختها مثل ابنها انسجاماً مع عادة العرب. وعن أنس عن النبي ﷺ قال: «ابن أخت القوم منهم أو من أنفسهم»، وقال «الخال أحد الأبوين» [2].

قال ابن جمرة الأندلسي في شرح الحديث: معناه فيما يجب من بره وتوقيره لا أنه اشترك هو والأبوان في مال الصبي، ولا له معهما في ميراثه نصيب، فكذلك ابن الأخت من القوم أي مثل بنيهم لأنه ما يكون من القوم إلا بنيهم، فهو كبنيهم في الشفقة عليه ولذلك قدم في الحضانة الأم وأهلها من بعدها على الأب وأهله ويلزم الصبي من البر لهم والإكرام مثل ما يلزم من جهة الأب. وكان العرب لا يلتفتون لجهة النساء ولا يعنون بهن وكانوا يقولون في ابن البنت ـ الذي هو أقرب من ابن الأخت

(١) المصدر السابق ص ٧٠.

(٢) بهجة النفوس ـ شرح مختصر البخاري جـ ٤ ص ٢٣١ ومسند الإمام أحمد ١٨٦/٦.

ما يلي:

بنونا بنو أبنائنا وبناتنا بنوهن أبناء الرجال الأباعد

فأراد النبي ﷺ بهذا الحديث وما في معناه نسخ أحكام الجاهلية وتحقيق الألفة بين الأهل والأقارب.

الفصل الثاني

أسس تربية الطفل في الإسلام



١ - تقرير القرآن الكريم لأحوال رضاعة الطفل وتربيته

بينت سابقاً، كيف خلق الله الإنسان، وأشرت إلى القدرات التي زوده الله بها منذ ولادته ليستمر في النمو والرقي، وعرضت بعض الآيات المتعلقة بهذا الموضوع، ثم أشرت إلى نواحٍ أخرى متفرعة عن هذا الموضوع والآيات القرآنية المتصلة بها.. وفي هذه الفقرة أعرض الآيات المتعلقة بطفولة الإنسان بعد ولادته ورضاعته وتربيته.

إن أول شيء يحتاج إليه الطفل الصغير بعد ولادته هو الغذاء بشكل مستمر ليعيش وينمو، ولذلك بين الله سبحانه وتعالى أن تكون مدة الرضاعة سنتين كاملتين، فقال تعالى:

﴿ والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف لا تكلف نفس إلا وسعها لا تضار والدة بولدها.. ﴾[١].

ويرى المفسرون أن الأب هو الذي يجب عليه الارضاع بأن يتخذ لابنه ظئراً لإرضاعه، إلا إذا تطوعت الأم، ولا يجوز استئجار الأم زوجة أو معتدة[٢].

---

(١) البقرة - ٢٣٣.

(٢) النسفي جـ ١ ص ١٥٢.

ويقول تعالى:

﴿اسكنوهن من حيث سكنتم من وجدكم ولا تضاروهن لتضيقوا عليهن، وإن كن أولات حمل فأنفقوا عليهن حتى يضعن حملهن، فإن أرضعن لكم فآتوهنّ أجورهن وأتمروا بينكم بمعروف، وإن تعاسرتم فسترضع له أخرى﴾[1].

من المعروف أن النفقة والسكنى واجبتان لكل مطلقة، أما إذا كانت المطلقة ذات حمل فالنفقة تبقى مستمرة حتى تضع حملها، وفائدة اشتراط الحمل، أن مدة الحمل ربما تطول فيظن ظان أن النفقة تسقط إذا مضى مقدار العدة[2].

وهذا تدبير محكم من الله سبحانه وتعالى للعناية بالطفل زيادة على العناية بالمرأة المطلقة، لأن حاجة الطفل إلى العناية والرعاية حاجة ملحة لا سيما وهو جنين في بطن أمه، وفي أيام طفولته الأولى حيث لا حول له ولا قوة.

أما تربية الطفل فقد جمع الله سبحانه وتعالى قواعدها في الآيات الآتية:

﴿وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم. ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله في عامين أن اشكر لي ولوالديك إليّ المصير. وإن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفاً واتبع سبيل من أناب إليّ، ثم إليّ مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون. يا بني إنها إن تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة أو في السماوات أو في الأرض يأت

(١) الطلاق ـ٦ـ.

(٢) النسفي جـ ٥ ص ٢١٨.

بها الله إن الله لطيف خبير. يا بني أقم الصلاة وَأْمُر بالمعروف وآنه عن المنكر وآصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور. ولا تصعّر خدك للناس ولا تمشِ في الأرض مرحاً إن الله لا يحب كل مختال فخور. واقصد في مشيك وآغضض من صوتك إن أنكر الأصوات لصوت الحمير﴾(١).

إن هذه الآيات تشتمل على القواعد التربوية الآتية، لتنشئة الطفل وتربيته التربية الفاضلة التي يرضاها الله سبحانه وتعالى:

١ - توحيد الله سبحانه وتنزيهه عن الشرك لأن الشرك ظلم عظيم.

٢ - شكر الله على نعمه باتباع أوامره واجتناب نواهيه.

٣ - شكر الوالدين: وعن ابن عيينه أنه قال: من صلى الصلوات الخمس فقد شكر الله ومن دعا للوالدين في أدبار الصلوات الخمس فقد شكرهما (٢).

٤ - عدم طاعة الوالدين في الشرك بالله والمعصية.

٥ - مصاحبة الوالدين بالحلم والاحتمال والبر والصلة.

٦ - اتباع سبيل المؤمنين في الدعوة إلى الدين.

٧ - الإيمان باليوم الآخر والرجوع إلى الله الذي سيحاسِب على كل عمل.

٨ - الاعتقاد بأن الله مطلع على كل شيء وكل عمل مهما كان صغيراً من خير أو شر، ومهما كان مجهولاً أو خفياً عن الناس، وأن الله سيحاسب عليه يوم القيامة، أي أنه لا يضيع من عمل الإنسان شيئاً، ويؤ كد هذا المعنى قوله تعالى ﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره﴾(٣).

---

(١) لقمان - ١٣ - ١٩.

(٢) النسفي جـ ٤ ص ١٣١.

(٣) الزلزلة - ٧ - ٨.

٩ ـ التأكيد على إقامة الصلاة.

١٠ ـ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

١١ ـ الصبر على المحن.

١٢ ـ عدم التكبر على الناس وعدم الإعراض عنهم ووجوب الإقبال عليهم تواضعاً.

١٣ ـ السلوك المتواضع في الحياة.

١٤ ـ خفض الصوت عند الحديث.

١٥ ـ الاعتدال في المشي حتى يكون مشياً بين مشيين، فقد قيل: لا تدب دبيب المتماوتين ولا تثب وثوب الشطار. قال عليه السلام: «سرعة المشي تذهب بهاء المؤمن»[١].

لو أمعنا النظر في هذه القواعد التربوية رأيناها شاملة لجميع الفضائل التي يحرص المربون على غرسها في نفس الطفل والتي تجعل منه إنساناً صالحاً، أو تعده للحياة إعداداً مثالياً في عقيدته وسلوكه ومعاملته، ومن ناحية أخرى إذا قارنا هذه القواعد التربوية بمبادىء التربية الحديثة ـ في هذا العصر ـ التي توصل إليها كبار المربين والمفكرين الأجانب، فإننا لا نجدهم أتوا بشيء جديد، وأن القرآن الكريم قد سبقهم إلى ذلك منذ قرون، إنه كلام الله رب العالمين.

فالمبادىء الحديثة للتربية تشمل النواحي الآتية:

١ ـ الناحية الدينية.

٢ ـ الناحية العاطفية والانفعالية.

٣ ـ الناحية العقلية.

٤ ـ الناحية الجسمية.

(١) النسفي جـ ٤ ص ١٣٢.

٥ ـ الناحية الاجتماعية.

٦ ـ الناحية الخلقية.

وهذه المبادىء موجودة بشكل ضمني في القواعد التربوية الآنفة الذكر، وإن دعاة التربية الحديثة لم يأتوا بجديد.

* * *

٢ ـ الأحاديث النبوية وتربية الطفل

كان النبي ﷺ يعلم أصحابه أمور دينهم، ويبلغهم ما ينزل عليه من أحكام الإسلام ويشرح ويوضح ويضرب الأمثلة حتى يفهموا ما يـريد ويطبقوا ذلك في سلوكهم وأعمالهم. وفي هذا المجال يـروي الإمام البخاري عن أنس «أن النبي ﷺ إذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثاً حتى تفهم عنه، وإذا أتى على قوم فسلم عليهم سلم عليهم ثلاثا»[(١)].

ومن ناحية أخرى فقد كان سلوك رسول الله ﷺ تطبيقاً عملياً لكل ما يقول ومثلاً حياً للإسلام، وحول ذكر بعض محاسن أخلاقه ﷺ، يروي ابن سعد الخبر التالي:

أخبرنا عبد الله بن صالح بن مسلم قال: أخبرنا مندل عن الحسن ابن الحكم عن أنس قال: خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين فما رأيته قط أدنى ركبتين من ركـبة جليسه، ولا صافحه إنسان فنزع يده من يده حتى يكون هو الذي ينصرف. وما قال لشيء صنعته لم صنعت كذا وكذا. ولا قال: ألا صنعت كذا وكذا، ولقد شممت العطر، فما شممت ريح شيء أطيب ريحاً من رسول الله ﷺ، ولا أصغى إليه رجل فنحّى رأسه حتى

(١) التجريد الصريح لأحاديث الجامع الصحيح ـ ابن المبارك ـ كتاب العلم ـ جـ ١ ص ١٩ دار الإرشاد ـ بيروت ـ الطبعة الثانية ـ ١٣٨٦ هـ.

يكون هو الذي يتنحى عنه.[1]

كان النبي ﷺ يوجّه الأطفال ويقدم لهم النصائح في الظروف الملائمة عندما يلاحظ شذوذاً من طفل أو تصرفاً مخالفاً للآداب العامة أو القوانين التربوية، فيقول كلمة في الوقت المناسب فتقع النصيحة من الطفل موقع القبول والاقتناع وتؤثر في نفسه التأثير المطلوب.

ففي مجال آداب الطعام، روي عن عمر بن أبي سلمة رضي الله عنه ربيب رسول الله ﷺ قال:

«كنت غلاماً في حجر رسول الله ﷺ وكانت يدي تطيش في الصحفة، فقال لي رسول الله ﷺ: «يا غلام سمّ الله وكل بيمينك وكل مما يليك» فما زالت تلك طعمتي بعد»[2].

بهذه الكلمات المعدودات رسم النبي ﷺ لهذا الغلام ولكل من يطلع على هذه الكلمات آداب تناول الطعام ليعتاد على ذلك ويأكل بطريقة محببة إلى النفس مثيرة لرضا الآخرين منسجمة مع الذوق السليم.

وكانت تربية رسول الله ﷺ وتوجيهاته للصغار تثمر وتؤتي أكلها على الدوام، وفي هذا المجال يقول أبو سعيد سمرة بن جندب ما يلي:

«لقد كنت على عهد رسول الله ﷺ غلاماً فكنت أحفظ عنه، فما يمنعني من القول إلا أن ههنا رجالاً أسنّ مني».[3]

---

(١) الطبقات الكبرى - جـ١ ص ٣٨٢ مصور عن كتاب طبع في ليدن ١٣٢٥ هـ نشر مؤسسة النصر. طهران.

(٢) رواه البخاري في كتاب الأطعمة الباب: ٢ ومسلم في الأشربة ١٠٨.

(٣) ذكره الامام النووي في رياض الصالحين رقم ٣٥٦ وقال: متفق عليه في باب (باب توقير العلماء والكبار وأهل الفضل وتقديمهم على غيرهم ورفع مجالسهم واظهار مرتبتهم).

يعني بذلك أنه كان يحترم من هم أكبر منه سناً في التحدث في المجالس والاستماع إلى أحاديث المتكلمين، وهذا من آثار تأديب الرسول ﷺ وتعليمه وتربيته.

وروى مسلم عن ابن عمر: «أن رسول الله ﷺ نهى عن القزع، قال: قلت لنافع ما القزع؟ قال: يحلق بعض رأس الصبي ويترك بعضه»(١). وفي رواية: أن النبي ﷺ رأى صبياً قد حلق بعض رأسه وترك بعضه فنهاهم عن ذلك وقال: «احلقوه كله»(٢).

وقد أراد النبي ﷺ بقوله هذا أن يهتم الناس بمظهر الطفل الصغير من الناحية الجمالية وحسن المنظر، ويعوّدوا الصغير على ذلك، حتى إذا اجتاز مرحلة الطفولة كان على علم بالعناية بجسمه ومظهره. وهذه ناحية سلوكية حرص النبي ﷺ على تعويد الصغار عليها لتسهم في بناء شخصية الفرد المسلم وتحديد سلوكه وتكوين مظهره الجسمي المقبول المحبب إلى ذوي الفطرة السليمة.

ولعل في أمر النبي ﷺ بذلك يقصد منافع أخرى للأطفال لم يلاحظوها هم ولا آباؤهم، والمهم على الدوام امتثال أمر النبي ﷺ ففي ذلك الخير والفلاح.

ومن القواعد التربوية التي سنّها النبي ﷺ: التيامن في المجالس، في الطعام والشرب، والدخول والخروج، وما يتعلق بذلك، والقصة التالية توضح هذه الناحية:

«عن سهيل بن سعد أن رسول الله ﷺ أُتي بشراب فشرب منه، وعن يمينه غلام وعن يساره الأشياخ، فقال للغلام: «أتأذن لي أن

(١) مختصر صحيح مسلم - للمنذري ص ٣٦٧ كتاب اللباس ١١٣.
(٢) صحيح البخاري - كتاب اللباس ٧٢.

أعطي هؤلاء؟» فقال الغلام: لا والله يا رسول الله لا أوثر بنصيبي منك أحداً، فتلّه رسول الله ﷺ في يده»[١].

في هذه الحادثة درس عظيم في احترام شخصية الفرد، ومبدأ عظيم من مبادىء الحقوق الاجتماعية قرره الإسلام منذ أربعة عشر قرناً. رئيس دولة ونبي عظيم يقول لفرد في سن الطفولة: أتأذن لي أن أعطي هؤلاء؟ أي أتسمح لي بالتنازل عن حقك في الشراب قبل هؤلاء الأشياخ المتقدمين في السن والمكانة في الإسلام أمثال أبي بكر وعمر وغيرهم؟ ولكن الغلام لم يتنازل عن حقه لأن مكانه في المجلس كان على يمين رسول الله ﷺ. وهو بحكم آداب الإسلام وقواعده أحق من غيره في هذه المكرمة، ورأى أن يحظى بذلك الشرف العظيم ويحصل على البركة العالية بالشرب من الإناء الذي شرب منه الرسول ﷺ مباشرة، ويضع فمه في مكان فم رسول الله ﷺ حبا به والتماساً للبركة منه، والتقرب إلى الله سبحانه وتعالى بعمله هذا. ولما رأى النبي ﷺ إصراره على رأيه وقوله «لا والله يا رسول الله لا أوثر بنصيبي منك أحداً»، سكت ودفع الإناء إليه واحترم رأيه، وقرر بعمله هذا أنه صاحب حق ولو كان غلاماً صغيراً.

وقد كان رسول الله ﷺ يدرب أطفال المسلمين منذ صغرهم على تحمل المسؤوليات في مجال الأعمال المختلفة لتنمو شخصيتهم وليعتمدوا على أنفسهم في تحمل أعباء الحياة وفي إنجاز الأعمال الهامة التي تتطلبها منهم الدعوة الإسلامية في الدفاع عنها ونشرها بين الناس، ومن ناحية أخرى اعتماد كل منهم على نفسه في اتخاذ مهنة له يكسب منها رزقه ولا يكون عالة على غيره.

---

(١) صحيح البخاري - كتاب المظالم، باب ١٢ والهبة ٢٢ والاشربة ١٩ وقال النووي في رياض الصالحين ص ٣٨٦ من منهل الواردين في معنى تَلَّهُ: وضعه في يده، وقال إن الغلام هو ابن عباس.

وطريقة الرسول ﷺ في هذا الموقف تطبيق لأحدث نظريات التربية المبنية على معرفة عميقة بعلم نفس الطفل والتي تدعو إلى إتاحة الفرصة للأطفال ـ منذ نعومة أظفارهم ـ لممارسة بعض الأعمال التي يتدرجون فيها على تحمل أعباء الحياة، ولا يجوز أن يستمروا في الاعتماد على آبائهم وأمهاتهم في تلبية حاجاتهم المختلفة وعدم تكليف أنفسهم ببذل أي جهد وتحمل أية صعوبة حتى يصبحوا في سن الشباب، إذ إن التربية على أسلوب الميوعة والدلال تفسد الفتى وتجعله عاجزاً عن مواجهة صعوبات الحياة في المستقبل. من ذلك ما روى البخاري عن أنس بن مالك قال:

«كان النبي ﷺ إذا خرج لحاجته أجيء أنا وغلام معنا بأداوة من ماء» وفي رواية «من ماء وعنزة يستنجي بها»[1].

وهذا عمل سهل أشرك النبي ﷺ فيه أنس بن مالك وغلاماً آخر تدريباً لهما على اتقان هذا الدور الذي أوكل إليهما وإن كانت أهميته غير خطيرة، فهذان الغلامان بحكم ملازمتهما للنبي ﷺ في أداء هذه الخدمة سينقلان عنه للناس ما يقول وما يفعل وبذلك يسهمان في تبليغ أحكام الشريعة وآدابها، وفي هذا العمل تأكيد لشخصيتهما وإشارة إلى أنهما يقومان بما ينمّي الشعور بالمسؤولية لدى كل منهما ويعتزّ ويرضى بما يقوم به من خدمة لرسول الله ﷺ.

وعن ثابت عن أنس بن مالك قال: «أتى رسول الله ﷺ وأنا ألعب مع الغلمان فسلم علينا فبعثني في حاجة فأبطأت على أمي، فلما جئت قالت: ما حاجته؟ قلت: إنها سر، قالت لا تخبرن بسر رسول الله ﷺ أحداً. قال أنس: والله لو حدثت به أحداً لحدثتك به يا ثابت»[2].

---

(١) صحيح البخاري ـ المختصر لابن المبارك ج ١ ص ٢٥ ـ كتاب الوضوء

(٢) مسند الامام أحمد بن حنبل ٣/ ١٧٤.

نستنتج من هذه القصة عدة أمور هامة هي:

١ - اهتمام الرسول ﷺ بتدريب الصغار على القيام بالأعمال الهامة لتقوية شخصيتهم وإعدادهم للحياة.

٢ - تنفيذ أنس بن مالك وهو غلام صغير لقضاء حاجة رسول الله ﷺ والدليل على ذلك قوله في الحديث «وأنا ألعب مع الغلمان»، وقد أدى انشغاله بذلك إلى تأخره عن العودة إلى أمه، وأنها ربما كانت تنتظره لتكلفه بعمل ما، ولكنه فضل تنفيذ أوامر الرسول ﷺ وهو القائد الذي يقدم أمره على كل أمر آخر ولو كانت الأم هي التي تأمر. والصحابة من رجال ونساء وأطفال يعرفون هذه الحقيقة، فقد درّبوا عليها وعلى تنفيذها بدقة وإخلاص.

٣ - لم يخبر الرسول ﷺ أحداً إلى أين أرسل أنساً عندما قطع عليه لعبه مع الصبيان وما الحاجة التي أرسله بشأنها، وكذلك أوصى أنساً بأن القضية سر، فلا يحدّث بها أحداً، فكتم ذلك الأمر حتى عن أمه، عندما سألته «ما حاجته؟» فقال: «إنها سر».

٤ - تسليم المرأة المسلمة بما فعل ابنها امتثالاً لأمر النبي ﷺ وتشجيعاً له على فضيلة حفظ السر لا سيما وهو أمر يتعلق بالنبي ﷺ حيث قالت: «لا تخبرن بسرّ رسول الله أحداً».

٥ - حرص أنس على حفظ ذلك السر وعدم افشائه إلى أحد، والدليل على ذلك قوله لمحدثه ثابت «والله لو حدثت به أحداً لحدثتك به يا ثابت».

الفصل الثالث

جوانب تربية الطفل عند المربين المسلمين



جوانب تربية الطفل عند المربين المسلمين

بعد عرض أسس التربية الإسلامية ومادتها في القرآن والسنة، في الفصلين السابقين، أبين هنا تأثير هذه المبادىء في الناس بعد الفتوحات الإسلامية، وانتشار الإسلام، ودخوله بيئات ومجتمعات عربية وغير عربية، وما كان لتفاعل تلك المبادىء مع ثقافة وحضارة الأمم والشعوب التي استجابت للدعوة من أثر في ثبات ورسوخ الصورة المشرقة العملية لتلك التربية كما قررها القرآن الكريم وشرحها رسوله الأمين محمد ﷺ، وتبلورت في أساليب وممارسات المربين المسلمين من أمثال ابن سحنون والقابسي والزرنوجي وابن جماعة والغزالي وابن خلدون، وغيرهم.

وسأشرح تلك الجوانب معتمداً على أدلة ونصوص مقتبسة من آراء بعض المربين المسلمين في عصور مختلفة. وقد رأيت حصر تلك الجوانب التربوية في ثلاثة أقسام هي:

أولاً: الإعداد للتربية والمواد الدراسية والتربوية.

ثانياً: آداب وصفات المعلم والمتعلم.

ثالثاً: خصائص التعليم ومشكلاته.

وإن كل قسم من الأقسام الثلاثة يشمل عدداً من الموضوعات الفرعية وفيما يلي تفصيل الشرح وبالله المستعان.



أولاً : الإعداد للتربية والمواد الدراسية والتربوية

ويشمل هذا القسم الموضوعات التالية :

١ ـ تربية الطفل قبل ولادته .
٢ ـ مبادىء تربية الطفل قبل سن التعليم .
٣ ـ ما يتعلم الصبي .
٤ ـ التربية الاجتماعية .
٥ ـ الاهتمام بالعمل .



١- تربية الطفل قبل ولادته

تقرر التربية الحديثة ان تربية الطفل تبدأ منذ أن يكون جنيناً في بطن أمه عن طريق العناية بالأم. وذلك من الناحية الجسمية والنفسية. لأن ما تتأثر به الأم من أمراض أو إرهاق جسمي أو انفعالات نفسية عنيفة واضطرابات شديدة تؤثر في الجنين تأثيراً سيئاً جسمياً ونفسياً.

وقد انتبه إلى هذه الحقيقة الفيلسوف المسلم ابن سينا[١] من حيث كونه طبيباً عبقرياً ومفكراً ومربياً ذكياً، وبحث في هذا الموضوع في كتابه المشهور «القانون في الطب» تحت عنوان «تدبير كلي للحوامل»[٢] وخصص بحثاً آخر لتربية الطفل في الكتاب المذكور، وضع له العنوان الآتي: «التعليم الأول في التربية وهو أربعة فصول»[٣]، وشرح الموضوع شرحاً مفصلاً. وفيما يلي عرض موجز للبحث الأول. أما الموضوع الثاني فسأعرضه في مكانه إن شاء الله تحت عنوان «مبادىء تربية الطفل قبل سن التعليم».

(١) هو الشيخ الرئيس الحسين بن عبد الله بن الحسن بن علي بن سينا، والشيخ لقب بمعنى استاذ والرئيس لقب به لتوليه الوزارة، ولد قرب بخارى - وتقع في اوزبكستان السوفيتيه اليوم، سنة ٣٧٠ هـ ٩٨٠ م وكان أبوه فارسياً من أهل بلخ وتقع في افغانستان اليوم. أتقن علوم القرآن وهو ابن عشر سنين نبغ في الفلسفة والطب خاصة، ودرس الفقه وعلوم القرآن والعربية وتوفي سنة ٤٢٨ هـ ١٠٣٧ م.

(٢) ابن سينا، القانون في الطب - ج ٢ ص ٥٧٠ نسخة مصورة عن طبعة بولاق بيروت بدون تاريخ.

(٣) المصدر السابق ج ١ ص ١٥٠ - ١٦٣.

١ ـ تدبير كلي للحوامل

ذكر جملة أموريوصي الحوامل أن يأخذن بها، أبين فيما يلي أهمها:

١ ـ ممارسة الرياضة المعتدلة والمشي الرقيق من غير إفراط، فإن الإفراط في ذلك يسقط.

٢ ـ ألّا يكثرن من الاغتسال في الحمام ويعبر عن فكرته بقوله « لا يدمنّ الحمام، بل الحمام كالحرام عليهن»[١].

٣ ـ أن يتجنبن الحركة المفرطة والوثبة والضربة والسقطة والامتلاء من الغذاء.

٤ ـ أن يتجنبن الانفعالات كالغضب والغم والحزن.

٥ ـ زيادة العناية بالحامل في الشهر الأول من الحمل خاصة. بالتدفئة والغذاء، وأن تتجنب كل حريف ومر كالترمس والزيتون الفج. وكل مدر للطمث، كاللوبيا والحمص والسمسم.

وبصورة عامة ينبه ابن سينا إلى ضرورة حفظ الجنين والتحرز من الاسقاط، ويشبه تعلق الجنين بالرحم كتعلق الثمرة بالشجرة فإن أخوف ما يخاف على الثمرة أن تسقط، إما عند ابتداء ظهورها وإما عند إدراكها، كذلك أشد ما يخاف على الجنين أن يسقط عند أول العلوق... فيجب أن يتوقى من الأسباب التي تؤ دي إلى الإسقاط.

والدواء المسهل من جملة أسباب الإسقاط فيجب أن يتوقى جانبه إلى الشهر الرابع، وبعد السابع وفيما بين ذلك أيضاً.

وإذا كانت المرأة يخاف عليها أن تسقط بسبب أمزجة وأورام

(١) المصدر السابق ج ٢ ص ٥٧٣.

وقروح وريح وغير ذلك. عولج كل ما في بابه، ويجب أن تعالج بالأدوية الحافظة للجنين.

إذا أمعنا النظر في الوصايا التي ذكرها ابن سينا أمكننا تصنيفها في زمرتين:

١ ـ زمرة الوصايا المتعلقة بنمو الجنين نمواً سليماً من الناحية المادية والنفسية.

٢ ـ زمرة الوصايا المتعلقة بالمحافظة على الجنين من عدم السقوط.

والناحية النفسية والجسمية واستمرار حمل الطفل حملاً سليماً، كل ذلك من شروط سلامته في هذه المرحلة وفي حياته كلها بعد ذلك وإن شروط السلامة المذكورة هي للأم أولاً، ثم لجنينها ثانياً، لأن ما يصيبها ينتقل إليه، فهي مصدر غذائه وصحته ومرضه، واستقامة أعضائه أو تشوهها، واعتدال مزاجه أو اضطرابه.

ومن أجل ذلك كانت تلك التدابير والوصايا أهم ما يتعلق بتربية الطفل قبل ولادته، وما يجب أن تأخذ بها كل أم للعناية بجنينها.

٢ ـ مبادئ تربية الطفل قبل سن التعليم

يذكر ابن سينا في كتابه «السياسة» أن من حق الولد على والديه حسن تسميته، ثم اختيار ظئره، كي لا تكون حمقاء، ولا ورهاء، ولا ذات عاهة، فإن اللبن يعدي كما قيل، فإذا فطم الصبي عن الرضاع بدء بتأديبه ورياضة أخلاقه قبل أن تهجم عليه الأخلاق اللئيمة وتفاجئه الشيم الذميمة، فإن الصبي تتبادر إليه مساوىء الأخلاق وتنثال عليه الضرائب الخبيثة، فما تمكن منه من ذلك غلب عليه فلم يستطع له مفارقة ولا عنه نزوعاً[1].

(١) ابن سينا (السياسة) ـ محمد ناصر: الفكر التربوي ج ٢ ص ٢٥٣، وكالة المطبوعات ـ الكويت ١٩٧٧ م.

ينبه ابن سينا في قوله هذا إلى أهمية السنوات الأولى من عمر الطفل وضرورة ملاحظته بدقة لئلا يتأثر بالأفكار السيئة وهو صفحة بيضاء لم ينقش فيها شيء فيصعب تغيير تلك الأفكار بعد ذلك، ولعله يؤكد ما يراه علماء التحليل النفسي في العصر الحاضر من أن تلك المؤثرات السيئة قد تكون سبباً لنشوء العقد النفسية لدى الطفل وتولد عنده الأمراض النفسية بعد ذلك، لذلك يطلب تأديبه منذ بداية السنة الثالثة من عمره، وعدم تركه عرضة للتأثر بما يجري حوله من أقوال وأفعال، وهذا ما عناه بقوله «البدء بتأديبه ورياضة أخلاقه» أي مراقبته وتوجيه سلوكه لئلا تهجم عليه الأخلاق الخبيثة.

ثم إن التربية الإسلامية التي تلقاها ابن سينا في صغره والعلوم الإسلامية التي نبغ فيها إلى جانب نبوغه في الطب والفلسفة وعلم النفس، دفعته إلى وضع قواعد لتربية الطفل منذ ولادته ثم العناية بإرضاعه وغذائه والمحافظة على صحته. وأبين فيما يلي أهم ما ذكره ابن سينا حول العناية بالمولود. نقلاً عن كتابه الشهير «القانون في الطب»[1].

أن يبادر إلى تمليح بدنه بماء الملح الرقيق لتصلب بشرته وتقوى جلدته، ولا يملح أنفه ولا فمه، ثم يغسل بماء فاتر وينقى منخراه دائماً بأصابع مقلمة الأظفار ويقطر في عينيه شيء من الزيت، ويدغدغ دبره بالخنصر ليتفتح، ويتوقى أن يصيبه برد.

وإذا سقطت سرته فالأصوب أن يذر عليها رماد الصدف أو غيره وإذا أردنا أن نقمطه فيجب أن تبدأ القابلة وتمس أعضاءه بالرفق فتعرض ما يستعرض وتدقق ما يستدق وتشكل كل عضو على أحسن شكل، كل

(١) ابن سينا ـ القانون في الطب ج ٢ ص ٥٧٠ وما بعدها ـ طبعة دار صادر ـ بيروت مصورة عن طبعة بولاق ـ بدون تاريخ.

ذلك بغمز لطيف بأطراف الأصابع. وتديم مسح عينيه بشيء كالحرير، وغمز مثانته ليسهل انفصال البول عنها. ثم تفرش يديه وتلصق ذراعيه بركبتيه وتقمسه أو تقلنسه بقلنسوة مهندمة على رأسه. وتنومه في بيت معتدل الهواء ليس ببارد ولا حار، ويجب أن يكون البيت إلى الظلمة والظل أقرب، لا يسطع فيه شعاع غالباً. ويجب أن يكون رأسه في مرقده أعلى من سائر جسمه، ويحذر من أن يلوي مرقدُه شيئاً من عنقه وأطرافه وصلبه.

ويجب أن يكون احمامه بالماء المعتدل صيفاً وبالمائل إلى الحرارة غير اللاذعة شتاءً، وأصح وقت يغسل ويستحم به هو بعد نومه الأطول، وقد يجوز أن يغسل في اليوم مرتين أو ثلاثاً وأن ينتقل بالتدريج إلى ما هو أقرب إلى الفتور إن كان الوقت صيفاً. وأما في الشتاء فلا يفارقه الماء المعتدل الحرارة. ويحمم مقدار ما يسخن بدنه ثم يخرج. ويصان سماخه عن سبوق الماء إليه.

ويجب أن يكون وضع الغسل على هذه الصفة: وهو أن يؤخذ باليد اليمنى على الذراع الأيسر معتمداً على صدره دون بطنه، ويجتهد في وقت الغسل ان تمس راحتاه ظهره وقدمه ورأسه بلطف وبرفق ثم تنشفه الأم بخرقة ناعمة وتمسحه بالرفق وتضجعه أولاً على بطنه ثم على ظهره، ولا يزال مع ذلك يمسح ويغمز ويشكل ثم يرفع فيعصب في خرقة ويقطر في أنفه الزيت العذب فإنه يغسل عينيه وطبقاتهما.

وينتقل بعد ذلك إلى الحديث عن مرحلة إرضاع الطفل تحت عنوان:

في تدبير الإرضاع والنقل

فيقول ابن سينا:

«أما كيفية ارضاعه وتغذيته فيجب أن يرضع ما أمكن بلبن أمه، فإنه أشبه الأغذية بجوهر ما سلف من غذائه وهو في الرحم... حتى إنه قد

صح بالتجربة ان إلقامه حلمة ثدي أمه عظيم النفع جداً في دفع ما يؤذيه.

ويجب أن يكتفى بإرضاعه في اليوم مرتين أو ثلاثاً، ولا يبدأ في أول الأمر في إرضاعه بإرضاع كثير، على أنه يستحب أن تكون من ترضعه في أول الأمر غير أمه حتى يعتدل مزاج أمه. والأجود أن يلعق عسلاً ثم يرضع.

ويجب أن يحلب من اللبن الذي يرضع منه الصبي في أول النهار حلبتان أو ثلاثاً ثم يلقم الحلمة وخصوصاً إذا كان باللبن عيب، والأولى باللبن الرديء والحريف ألّا ترضعه المرضعة وهي على الريق.

ومن الواجب أن يلزم الطفل بشيئين نافعين أيضاً لتقوية مزاجه أحدهما التحريك اللطيف والآخر الموسيقى.

والتلحين الذي جرت العادة به لتنويم الأطفال، وبمقدار قبوله لذلك يوقف على تهيئته للرياضة والموسيقى باختبارين أحدهما ببدنه والآخر بنفسه.

وهذه ملاحظة دقيقة من ابن سينا في مجال اختبار الميل الموسيقي عند الطفل، وأثر الموسيقى والغناء في راحة النفس وتهدئة الاعصاب.

فإن منع عن إرضاعه لبن أمه مانع من ضعف وفساد لبنها أو ميله إلى الرقة فينبغي أن يختار له مرضعة على الشرائط التي نصفها، بعضها في سنها، وبعضها في سحنتها، وبعضها في أخلاقها وبعضها في هيئة ثدييها وبعضها في كيفية لبنها، وبعضها في مقدار مدة ما بينها وبين وضعها، وبعضها من جنس مولودها. وإذا أصيبت شرائطها فيجب أن يجاد غذاؤها فيجعل من الحنطة والخندريس ولحوم الخرفان والجداء والسمك الذي ليس بعفن اللحم ولا صلبه، والخس غذاء محمود واللوز

أيضاً والبندق. وشر البقول لها الجرجير والخردل والباذروج فإنه يفسد اللبن. وفي النعناع قوة من ذلك.

ثم ننتقل بعد ذلك إلى الحديث عن الشروط التي يجب توافرها في المرضع وتشمل الأمور الآتية:

١ - السن والصحة والكمال، حسنة اللون قوية العنق والصدر.

٢ - حسنة الأخلاق بطيئة عن الانفعالات النفسية رديئة الغضب وغير ذلك. فإنه يفسد المزاج، ولهذا نهى رسول الله ﷺ عن استئظار المجنونة على أن سوء خلقها مما يسلك بها سوء العناية بتعهد الصبي واقلال مداراته.

٣ - أن يكون صدرها مكتنزاً عظيماً وأن يكون قوام لبنها معتدلاً.

٤ - أن تمارس الرياضة بصورة معتدلة وتغذى بأغذية جيدة.

٥ - أن يحلب شيء من لبن الأم قبل الارضاع الأول خاصة ويسيّل وتستعين الأم على ذلك بالضغط على ثديها بأصابعها، لئلا تضطر الطفل إلى شدة المصّ فيتألم حلقة وآلات المري ، وان العق ملعقة من عسل فهو نافع، ومن المفيد كذلك مزج ذلك العسل بقليل من الشراب.

٦ - لا ترضع الأم وليدها لبناً كثيراً دفعة واحدة، بل يرضع قليلاً قليلا فإن إرضاعه اللبن دفعة واحدة حتى يشبع ربما ولد تمدداً أو نفخةً وكثرة رياح وبياض بول فإن عرض ذلك فيجب ألاّ يرضع، ويجوّع جوعاً شديداً ويستغل بنومه إلى أن ينهضم ذلك.

٧ - في اليوم الثالث يكون إرضاعه أكثر من اليومين السابقين حيث يرضع ثلاث مرات، وقد أشرنا سابقاً إلى أن إرضاعه في اليوم الأول من غير أمه أفضل.

٨ ـ إذا أصاب المرضع مزاج رديء أو علة مؤلمة أو إسهال كثير أو احتباس مؤذ، فمن المفيد ارضاع الطفل امرأة أخرى.

٩ ـ إذا بكى الطفل قبل ارضاعه مفيد له إذا كان بكاءً يسيراً.

١٠ ـ مدة الرضاع سنتان وهي المدة الطبيعية.

١١ ـ يمكن إعطاء الطفل غير اللبن إذا استساغ ذلك وليكن ذلك بصورة تدريجية.

١٢ ـ يغذى بغير اللبن إذا بدأت ثناياه بالظهور ـ بالتدريج ولا يعطى شيئاً صلب المضغ، وأول ما يعطى الخبز تمضغه المرضع، ثم خبز بماء وعسل أو بشراب أو بلبن.

١٣ ـ وبعد فطامه يغذى بما هو من جنس الاحساء واللحوم الخفيفة، وأن يكون الفطام بالتدريج لا دفعة واحدة.

١٤ ـ لا يجوز حمله على القعود أو المشي بالشدة وإنما يترك إلى طبيعته.

١٥ ـ عند بدء زحفه على الأرض أن يكون مقعده على بساط أملس لئلا تخدشه خشونة الأرض، ويجب إبعاد الأشياء المؤذية عن وجهه ويديه ويبعد عن مواضع التزلق العالية.

١٦ ـ عندما تبدأ أنيابه بالتشقق، منعوا عنه كل صلب المضغ لئلا تتخلل المادة التي تتركب منها الأنياب إذ إن الوليد يكون مولعاً بالمضغ في هذه المرحلة من نموه، لذلك يرى ابن سينا أن تمرغ أطراف الأنياب بدماء الأرنب وشحم الدجاج فإن ذلك يسهل فطورها ثم تمزج رؤوس الأنياب وأعناقها بالزيت المغسول بماء حار، وقطر من الزيت في اذان الأطفال. فإذا صارت الانياب بحيث يمكن أن يعض بها فإنه يغرى

بأصابعه وعضها، فإن ذلك ينفع في ذلك الوقت، وينفع من القروح والأوجاع في اللثة، وكذلك يجب أن يدلك فمه بملح وعسل لئلا تصيبه هذه الأوجاع. ثم إذا استحكم انباتها أعطوه شيئاً من رب السوس أو من أصله الذي ليس بشديد الجفاف يمسكه في الفم.

وينتقل ابن سينا بعد ذلك إلى بيان الأمراض التي تصيب الصبيان وعلاجها، وأول ما ينبه إليه سلامة صحة المرضع، ثم يذكر الأمراض الجزئية التي تعرض للصبيان ومن أهمها ما يلي:

١ ـ أورام تعرض لهم في اللثة عند نبات الأسنان، وينصح باستخدام العلاجات المفيدة في مثل تلك الحالة.

٢ ـ استطلاق البطن، عند نبات الأسنان خاصة.

٣ ـ اعتلال الطبيعة.

٤ ـ التشنج بسبب فساد الهضم.

٥ ـ الكزاز.

٦ ـ سعال وزكام.

٧ ـ سوء التنفس.

٨ ـ سيلان في الأذن.

٩ ـ ورم حار في الدماغ.

ويعدد بعد ذلك أنواعاً أخرى من الأمراض مثل: «المغص، والعطاس المتواتر والبثور في البدن، وكثرة البكاء، وقد يحدث نتوء في السرة وورم عند قطع السرة، وعدم النوم وكثرة البكاء، وفواق وقيء مبرح وضعف في المعدة».

ويتعرض أخيراً إلى ذكر مرض نفسي يصيب الأطفال وهو الأحلام المزعجة المفزعة لهم في النوم، ويرى ان سبب ذلك في الغالب يرجع

إلى امتلائه لشدة نهمته، فإذا فسد الطعام وأحست المعدة به أدى ذلك الأذى من القوة الحاسة إلى القوة المصورة والمخيلة فمثلت أحلاماً رديئة هائلة، لذلك يجب ألاّ ينام الطفل على كظة، وأن يلعق العسل لينهضم ما في معدته.

ثم ينتقل إلى بيان أسلوب تربية الطفل بعد تلك المرحلة ـ أي مرحلة الرضاع ـ حتى يبلغ سن الرابعة عشرة من عمره ويشرح المسائل التي يراها تحت عنوان: «تدبير الأطفال، إذا انتقلوا إلى سن الصبا»[١].

ويمكن تلخيص آرائه في القواعد الآتية:

١ ـ يجب أن يكون وكد العناية مصروفاً إلى مراعاة أخلاق الصبي، وذلك بأنه يحفظ كيلا يعرض له غضب شديد أو غم أو سهر، وذلك بأن يتأمل كل وقت ما الذي يشتهيه ويحن إليه فيضرب إليه، وما الذي يكرهه فينحى عن وجهه وفي ذلك منفعتان، هما:

المنفعة الأولى من نفسه: بأن ينشأ من الطفولة حسن الأخلاق ويصير في ذلك ملكة لازمة له.

المنفعة الثانية لبدنه: فإنه كما أن الاخلاق الرديئة تابعة لأنواع سوء المزاج فكذلك أحدثت عن العادة أستتبعت سوء المزاج المناسب لها، فإن الغضب يسخن جداً، والغم يخفف جداً، والبليد يرخي القوة النفسانية وتميل بالمزاج إلى البلغمية، ففي تعديل الأخلاق حفظ الصحة للنفس والبدن جميعاً معاً.

٢ ـ إذا استيقظ الطفل من نومه فالأحرى أن يستحم ثم يخلى بينه وبين اللعب ساعة ثم يطعم شيئاً يسيراً، ثم يطلق له اللعب الأطول، ثم يستحم ثم يغذى.

(١) ابن سينا، القانون في الطب ـ ج١ ص ١٥٧ مرجع سابق.

٣ ـ يمنع الصبي من شرب الماء على الطعام.

٤ ـ إذا بلغ عمر الطفل ست سنين يقدم إلى المؤدب والمعلم ويدرج في ذلك، ولا يجبر بملازمة الكتاب كرّة واحدة.

٥ ـ ينقص من احمام الصبيان في هذه السن، ويزاد في تعبهم مثل تناول الطعام.

٦ ـ يجب أن يجنب الصبيان البرد، خصوصاً إن كان أحدهم حار المزاج، وليطلق لهم الماء البارد العذب النقي.

إنني أكتفي إلى هنا بعرض هذه الآراء القيمة لابن سينا في تربية الطفل، وكنت أحب أن أعلق عليها لأظهر ما فيها من دقة وبراعة وفائدة كبيرة، ولكني آثرت ترك ذلك للقارىء الكريم ليتذوق بنفسه ما تنطوي عليه تلك الأفكار من متعة ويكتشف درجة سدادها وصحتها، ولا شك أن العلم نور والله يهدي بنوره من يشاء.

٣ ـ ما يتعلم الصبي

تعد الكتاتيب في العهود الإسلامية الأولى مدارس ابتدائية يتعلم فيها الصبيان مبادىء القراءة والكتابة والحساب إلى جانب تعلم القرآن الكريم.

ويعرض الأستاذ محمد العروسي المطوي دراسة عن ظهور الكتاتيب في أفريقية فيقول «إن العرب لما فتحوا أفريقية ـ أواسط القرن الأول للهجرة ـ كان الكثير منهم في عيالهم وذراريهم، فعندما أناخوا بمعسكرهم وخطوا «قيروانهم» أول ما أنشأوا الدور والمساجد، ثم التفتوا إلى تعليم صبيانهم فاتخذوا لهم محلاً «كتاباً» بسيط البناء يجتمعون فيه لقراءة كلام الله العزيز لما كان لأولئك الأفاضل من العناية الكبرى بأمر دينهم القويم وهم

القائمون بنشر دعوته المكلفون بركز دعامته سواء بين الأقارب أو الأباعد من أبناء الشعوب المغلوبة على أمرها أو المؤلفة قلوبها»[١].

ثم يذكر شواهد في هذا الموضوع فيقول:

حكى غياث بن أبي شبيب قال: «كان سفيان بن وهب صاحب رسول الله ﷺ يمر علينا ونحن غلمة بالقيروانة فيسلم علينا في الكتاب وعليه عمامة قد أرخاها من خلفه».

ويبين أن دخول سفيان بن وهب إلى أفريقية كان خلال عام ٧٨ هـ في خلافة عبد الملك بن مروان وأن وجود الكتاتيب بها كان بعد ٢٥ سنة من تأسيسها وأن عدد الكتاتيب فيها كان يزداد بازدياد العمران. وكانت الكتاتيب محل العناية من الكبراء والأعيان والأغنياء من العرب.

فهذا الأمير إسماعيل بن أبي المهاجر المخزومي كان يؤدب أولاد عبد الملك بن مروان. ثم استعمله الخليفة عمر بن عبد العزيز على إفريقية سنة ١٠٠ هـ وهو من وجوه التابعين. قال ابن عساكر في تاريخه:

«وكانت أم الدرداء أشارت باسماعيل على عبد الملك أن يكون معلماً لأولاده، فلما أحضره قال له: يا إسماعيل علم ولديّ فإني معطيك ومثيبك. فقال له وكيف ذلك يا أمير المؤمنين؟ وقد حدثتني أم الدرداء عن أبي الدرداء. أن رسول الله ﷺ قال: «من أخذ على تعليم القرآن قوساً، قلده الله قوساً من نار يوم القيامة» فقال له عبد الملك: «إني لست أعطيك على القرآن ولكن أعطيك على النحو والعربية».[٢]

ويرى الأستاذ العروسي المطوي: أن ولاة العرب يتعاطون مهنة التعليم في المشرق قبل وفودهم للمغرب فما ظنك بهم في نشر التعليم في

(١) ابن سحنون ـ آداب المعلمين ص ٣٣ تحقيق محمد العروسي المطوي.. الشركة التونسية لفنون الرسم ١٩٧٢م.

(٢) آداب المعلمين ص ٣٤ ـ ٣٥ مرجع سابق.

أفريقية وحث أبناء البربر على حفظ القرآن واتقان اللغة العربية؟. لقد أثبت التاريخ أن عامة أمم البربر أسلمت على يد اسماعيل بن أبي المهاجر... وانتشر بسبب ذلك التعليم وكثر عدد الكتاتيب في المدن الأفريقية الكبيرة مثل تونس وسوسة وصفاقس حتى لم يخل منها درب من الدروب أو حي من الأحياء وربما تعددت الكتاتيب في الحارة الواحدة مثلما تعددت المساجد في الحارات.

أمّا ما كان يتعلم الصبيان في تلك الكتاتيب في المشرق والمغرب ففيما يلي تفصيل ذلك:

يقول ابن سحنون:

«وينبغي أن يعلمهم الحساب، وليس ذلك بلازم له إلا أن يشترط ذلك عليه، وكذلك الشعر، والغريب، والعربية، والخط، وجميع النحو وهو في ذلك متطوع. وينبغي أن يعلمهم إعراب القرآن وذلك لازم له، والشكل والهجاء والخط الحسن والقراءة الحسنة والتوقف والترتيل يلزمه كذلك.

ولا بأس أن يعلمهم الشعر مما لا يكون فيه فحشٌ من كلام العرب وأخبارها. ولا بأس أن يعلمهم الخطب إن أرادوا، ولا أرى أن يعلمهم ألحان القرآن لأن مالكاً قال: لا يجوز أن يقرأ القرآن بالألحان، ولا أرى أن يعلمهم التحبير. وليعلمهم الأدب، فإن من الواجب لله عليه النصيحة وحفظهم ورعايتهم»[1].

وينقل ابن سحنون عن أبيه أنه لا يرى أن يعلم المعلم تلاميذه أبا جاد، ويقول أي سحنون إنه سمع حفص بن غياث يحدث أن أبا جاد

(١) محمد بن سحنون ـ آداب المعلمين ص ١٠٢ مرجع سابق

أسماء الشياطين ألقوها على السنة العرب في الجاهلية فكتبوها، وإن بعض أهل العلم يزعم أنها أسماء ولد سابور ملك فارس، أمر العرب الذين كانوا في طاعته أن يكتبوها، فلا أرى لأحد أن يكتبها فإن ذلك حرام. ويقول بعد ذلك:

«وقد اخبرني سحنون بن سعيد عن عبد الله بن وهب عن يحيى ابن أيوب عن عبد الله بن طاووس عن أبيه عن ابن عباس رضي الله عنه قال: «قوم ينظرون في النجوم يكتبون «أبا جاد» أؤلئك لا خلاق لهم»[1].

ويجب على المعلم في رأي ابن سحنون: أن يأمر الأولاد بالصلاة وهم بني سبع، ويضربهم عليها إذا كانوا بني عشر ويلزمهم تعلّم الوضوء والصلاة لأن ذلك دينهم، وعدد ركوعها وسجودها والقراءة بها والتكبير وكيف الجلوس والإحرام والسلام وما يلزمهم في الصلاة والتشهد والقنوت في الصبح فإنه من سنة الصلاة ومن واجب حقها الذي لم يزل رسول الله ﷺ حتى قبضه الله، ثم الأئمة بعده على ذلك لم يعلم أحد منهم ترك القنوت في الفجر رغبة عنه..

وليتعهدهم بتعليم الدعاء ليرغبوا إلى الله ويعرفهم عظمته وجلاله ليكبروا على ذلك.

وينبغي أن يعلمهم سنن الصلاة مثل ركعتي الفجر والوتر وصلاة العيدين والإستسقاء والخوف، حتى يعلمهم دينهم الذي تعبد الله به وسنة نبيهم ﷺ.

ولا يجوز للمعلم أن يعلم أولاد النصارى القرآن ولا الكتاب.

---

(١) المرجع السابق ص ١٣٤

ولا يمس الصبي المصحف إلا على وضوء وليأمرهم بذلك حتى يتعلموه، وليتعلموا الصلاة على الجنائز والدعاء عليها فإنه من دينهم.

وليجعلهم بالسواء في التعليم، الشريف والوضيع وإلا كان خائناً.

ويرى الإمام الغزالي[1] ان العلم المفروض الذي قصد إليه النبي ﷺ في قوله: «طلب العلم فريضة على كل مسلم» هو علم المعاملة التي كلف العبد العاقل البالغ العمل بها وهي ثلاثة: إعتقاد وفعل وترك.. والعلوم الشرعية محمودة كلها.

وأما العلم الذي طلبه فرض كفاية فهو كل علم لا يستغنى عنه في قوام أمور الدنيا كالطب والحساب.

وهناك علوم مذمومة مثل السحر والطلسمات، وعلم الشعبذة والتلبيسات وهناك علم مباح مثل العلم بالأشعار التي لا سخف فيها وتواريخ الأخبار وما يجري مجراه.

وعقد ابن خلدون في مقدمته فصلاً عما يتعلمه الولدان بعنوان: «في تعليم الولدان واختلاف مذاهب الأمصار الإسلامية في طرقه».

فبين أن تعليم القرآن للولدان شعار الدين أخذ به أهل الملة ودرجوا عليه في جميع أمصارهم لما يسبق فيه إلى القلوب من رسوخ الإيمان وعقائده.

ويقول بعد ذلك «واختلفت طرقهم في تعليم القرآن للولدان واختلافهم باعتبار ما ينشأ عن ذلك التعليم من الملكات، فأما أهل المغرب فمذهبهم في الولدان الاقتصار على تعليم القرآن فقط وأخذهم أثناء المدارسة بالرسم ومسائله واختلاف حملة القرآن فيه لا يخلطون

---

(١) الغزالي: إحياء علوم الدين جـ ١ ـ ص ٧٥ دار إحياء الكتب العربية ـ القاهرة بدون تاريخ

ذلك بسواه في شيء من مجالس تعليمهم لا من حديث ولا من فقه ولا من شعر ولا من كلام العرب إلى أن يحذق فيه أو ينقطع دونه فيكون انقطاعه في الغالب إنقطاعاً عن العلم بالجملة، وهذا مذهب أهل الأمصار بالمغرب ومن تبعهم من قرى البربر أمم المغرب في ولدانهم إلى أن يجاوزوا حد البلوغ إلى الشبيبة، وكذا في الكبير إذا رجّع مدارسة القرآن بعد طائفة من عمره، فهم لذلك أقوم على رسم القرآن وحفظه من سواهم.

وأما أهل الأندلس فمذهبهم تعليم القرآن والكتاب من حيث هو، وهذا هو الذي يراعونه في التعليم، إلا أنه لما كان القرآن أصل ذلك وأسّه ومنبع الدين والعلوم جعلوه أصلاً في التعليم فلا يقتصرون لذلك عليه فقط بل **يخلطون في تعليمهم للولدان رواية الشعر في الغالب والترسل وأخذهم بقوانين العربية وحفظها وتجويد الخط والكتاب**، ولا تختص عنايتهم فيه بالخط أكثر من جميعها إلى أن يخرج الولد من عمر البلوغ إلى الشبيبة..

وأما أهل أفريقية فيخلطون في تعليمهم للولدان القرآن بالحديث في الغالب ومدارسة قوانين العلوم وتلقين بعض مسائلها، إلا أن عنايتهم بالقرآن أكثر مما سواه، وعنايتهم بالخط يتبع ذلك. وبالجملة فطريقتهم في تعليم القرآن أقرب إلى طريقة أهل الأندلس.

وأما أهل المشرق فيخلطون في التعليم كذلك على ما يبلغنا، ولا أدري بم عنايتهم منها، والذي ينقل لنا أن عنايتهم بدراسة القرآن وصحف العلم وقوانينه في زمن الشبيبة، ولا يخلطون بتعليم الخط، بل لتعليم الخط عندهم قانون ومعلمون له على انفراده كما تعلم سائر الصنائع، ولا يتداولونها في مكاتب الصبيان، وإذا كتبوا لهم الألواح فبخط قاصر عن الإجادة، ومن أراد تعلم الخط فعلى قدر ما يسنح له

بعد ذلك من الهمة في طلبه، ويبتغيه من أهل صنعته»[١].

وينقل ابن خلدون رأياً للقاضي أبي بكر بن العربي فيما يتعلمه الصبي فيقول:

«ولقد ذهب القاضي أبو بكر بن العربي في كتاب رحلته إلى طريقةٍ غريبةٍ في وجه التعليم وأعاد في ذلك وأبدأ وقدم تعليم العربية والشعر على سائر العلوم كما هو مذهب أهل الأندلس. قال: لأن الشعر ديوان العرب ويدعو على تقديمه وتعليم العربية في التعليم ضرورة فساد اللغة ثم ينتقل منه إلى الحساب فيتمرن فيه حتى يرى القوانين، ثم ينتقل إلى درس القرآن فإنه يتيسر عليه بهذه المقدمة، ثم قال: ويا غفلة أهل بلادنا في أن يؤخذ الصبي بكتاب الله في أول أمره يقرأ ما لا يفهم وينصِبُ في أمر غيره أهم ما عليه، ثم قال: ينظر في أصول الدين ثم أصول الفقه ثم الجدل ثم الحديث وعلومه، ونهى مع ذلك أن يُخلط في التعليم علمان إلا أن يكون المتعلم قابلاً لذلك بجودة الفهم والنشاط».

ويعلق ابن خلدون على رأي القاضي أبي بكر بن العربي ويبدي الموافقة عليه وتفضيله إلا أنه يرى أن سيطرة العادة على الناس وهي تقدم دراسة القرآن إيثاراً للتبرك والثواب، هي التي تجعله يقبل بالواقع مع أنه يفضل رأي ابن العربي، فالناس يبادرون إلى تعليم أولادهم القرآن أولاً، لأن الولد ما دام في الحجر فهو منقاد للحكم أي تأثير والديه وأهله فإذا تجاوز البلوغ وانحل من ربقة القهر فربما عصفت به رياح الشبيبة فألقته بساحل البطالة، فيغتنم الأهل في زمان الحجر وربقة الحكم تحصيل القرآن لئلا يذهب خلواً منه ولو حصل اليقين باستمراره في طلب العلم وقبوله التعليم لكان هذا المذهب الذي ذكره القاضي أولى ما أخذ به أهل المغرب.

(١) ابن خلدون ـ المقدمة ـ محمد ناصر، الفكر التربوي جـ ٢ ص ٤٧٧ ـ ٤٨١ مرجع سابق

ويختم ابن خلدون هذا الفصل بقوله «ولكن الله يحكم ما يشاء لا معقب لحكمه».

ولعله بهذا يسلم بما كان شائعاً ومقرراً في زمنه في بلاد المغرب من نظم التعليم ومناهجه وهو لا يستطيع معارضتها وتغييرها، وإن رأي ابن العربي واستحسان ابن خلدون له في صعوبة تعلم الأولاد أموراً لا يفهمونها، ذلك ينبع من حسٍ سليم ومعرفة دقيقة بطبيعة الطفولة وخصائصها النفسية وما يلائمها من طرقٍ مجدية في التربية والتعليم، وهو الرأي الذي يتفق مع علم نفس الطفل الذي بنيت عليه الآراء السديدة في التربية الحديثة، على أني أرى التوفيق بين رأي ابن العربي والمناهج التربوية السائدة في ذلك العصر في المغرب والمشرق التي كانت تقوم على تعلم القرآن أولاً قراءة وكتابة وإعراباً ونحواً وصرفاً، وذلك بأن يتبع في تعليم العربية استناداً إلى القرآن الكريم باتباع منهج خاص لا تقوم على ترتيبه آيات القرآن وسوره بل على انتقاء آيات سهلة الفهم على الأطفال أولاً ثم التدرج إلى الأصعب حتى يشمل ذلك المنهج جميع القرآن الكريم.

ويقول أبو بكر بن العربي - نقّادة الأندلس وعالمها المالكي الكبير - المتوفى سنة ٥٤٣ هـ، واصفاً للتعليم بالمشرق في كتابه «الأحكام» ج ٢ ص ٢٩١:

«وللقوم في التعليم سيرة بديعة، وهي أن الصغير منهم إذا عقل بعثوه إلى المكتب، فإذا عبر المكتب أخذوه بتعلم الخط والحساب والعربية، فإذا حذقه كله أو حذق منه ما قدر له خرج إلى المقرىء فلقنه كتاب الله فحفظ منه كل يوم ربع حزب أو نصفه أو حزباً، حتى إذا حفظ القرآن خرج إلى ما شاء الله من تعليم أو تركه. ومنهم - وهم الأكثر - من يؤخر حفظ القرآن ويتعلم الفقه والحديث وما شاء الله، فربما كان إماماً

وهو لا يحفظه. وما رأيت بعيني إماماً يحفظ القرآن، ولا رأيت فقيهاً يحفظه إلا إثنين، ذلك لتعلموا أن المقصود حدوده لا حروفه. وعلقت القلوب اليوم بالحروف وضيّعوا الحدود خلافاً لأمر رسول الله ﷺ»(١).

وقال عن التعليم بالأندلس في كتابه «العواصم من القواصم» نسخة جامعة الزيتونة ـ خط:

«قاصمة أخرى في تعلم العلم: فصار الصبي عندهم إذا عقل فإن سلكوا به أمثل طريقة لهم علموه كتاب الله، فإذا حذقه نقلوه إلى الأدب، فإذا نهض منه حفّظوه الموطأ فإذا لُقنه نقلوه إلى المدونة، ثم ينقلونه إلى وثائق ابن العطار ثم يختمون له بأحكام ابن سهل، فقال: قال فلان الطليطلي، وفلان المجريطي، وابن مغيث ـ لا أغاث الله نداه ولا أناله رجاه ـ، فيرجع القهقرى أبداً إلى الوراء على أمه الهاوية»(٢).

أما رأي ابن العربي فيما يجب أن يتعلمه الصبي. بعد أن انتقد الطريقة الشائعة في زمنه لأبناء وطنه ـ فقد عرضه في آخر كتابه المذكور «العواصم من القواصم» فقال:

«والذي يجب على الولي في الصبي إذا كان أباً أو وصياً أو حاضناً أو الإمام، إذا عقل أن يلقنه الإيمان ويعلمه الكتاب والحساب ويحفظه أشعار العرب العاربة ويعرفه العوامل في الإعراب، وشيئاً من التصريف، ثم يحفظه إذا استقل واستوفى العشر الثاني من كتاب الله، وهو أمر وسط متساوٍ بين أهل المشرق والمغرب. ثم يحفظ أصول سنن الرسول ﷺ، وهو نحو من ألفي حديث في الأبواب نظمها البخاري ومسلم وهي عماد الدين، ويأخذ بعد ذلك نفسه بعلوم القرآن ومعاني كلماته، ولا يشتغل

(١) محمد بن سحنون ـ آداب المعلمين ص ١٤٠ نشر محمد العروسي المطوي مرجع سابق
(٢) المرجع السابق ص ١٤١.

برواية الحديث من كل كتاب، فالباطل فيه كثير، وما الصحيح من حديث رسول الله ﷺ إلا كنقطة من بحر. وليحذر كتب الصالحين ومن ينتمي إلى الوعظ، فإنهم لم يألوا في الكذب على رسول الله ﷺ بقصد وغير قصد، ولا كتاب يعوّل على حديثه إلا كتاب ابن المبارك وأحمد بن حنبل وهناد بن السري، ولا يفرط في علم الفرائض فإنها أصل الدين، وهو أول ما يذهب من المسلمين، فبالسنة يفرضها وبالحساب يقسمها، ولا يخلي نفسه من الأنساب، ولا على شيء من أصول الطب، وليتخذ عبارة الرؤيا أصلاً، ولا يقل متى أحصد هذا؟ فإنه ليس المطلوب منها الغاية فإنها لا تنالها إلا الأفراد، وإنما ينبغي لكل عاقل أن يتخصص بجزء منها ولا يفرد نفسه ببعض العلوم فيكون إنساناً في الذي يعلم، بهيمة فيما لا يعلم، ولا سيما من أقام عمره حاسباً أو نحوياً فقد هلك، فإنه بمنزلة من أراد صنعة شيء فشحذ الآلة عمره ثم مات قبل صنعته. ولا يصغِ إلى من يقول له: تكون مقصراً في كل علم إذا فعلت هذا، والأولى لك أن تقف نفسك على علم واحد فإنه قول جاهل بالعلم. إذا أخذ المرء نفسه بهذا القانون الذي رسمناه سيعتمد على ما يراه أوكد ويجعل الباقي تبعاً».

إذا أمعنا النظر في هذا النص الذي عبر به ابن العربي عن رأيه في تعليم الصبيان وجدنا فيه عدة مسائل يجب الوقوف عندها وبيانها والتعليق عليها، وفيما يلي بيان ذلك:

١ ـ أن يلقّن الصبي قبل كل شيء الإيمان، وهذا قول صائب ولا شك، لأن الإيمان بالله سبحانه وتعالى أساس حياة المسلم في الدنيا والآخرة.

٢ ـ أن يتعلم الكتابة والحساب، وأرى أن تقديم هذه الخطوة يساعد على تعلم القرآن الكريم وأحاديث الرسول ﷺ، لأن معرفة القراءة

والكتابة تُعد آلة مفيدة لتعلم كتاب الله وربما قصد هو هذه الحكمة في ذلك والله أعلم.

٣ ـ حفظ أشعار العرب، والهدف من ذلك تكوين ثروة لغوية ممتازة لديه تعينه على الفهم.

٤ ـ دراسة الإعراب والتصريف وهذه خطوة جديدة تكمل الخطوات السابقة في الاستعداد لحفظ القرآن وأحاديث الرسول ﷺ، وهي خطوات ضرورية لبلوغ الطفل مرتبة عالية في سلامة اللغة وفهم ألفاظها وتعابيرها.

٥ ـ أن يحفظ شيئاً من القرآن الكريم وهو العشر الثاني من كتاب الله وبحفظه هذا القدر من آيات القرآن الكريم ترتقي لغته وتغزر المعاني التي يملكها والمفردات اللغوية التي حصل عليها وكل ذلك يساعده على الحفظ والفهم للقرآن الكريم كله ولأحاديث الرسول ﷺ بعد ذلك، ويبين ابن العربي أن هذه الطريقة وسط بين أهل المشرق والمغرب.

٦ ـ حفظ أصول السنة في نحو ألفي حديث من البخاري ومسلم، وهذه الأحاديث موثوقة لأنها مأخوذة من مصدر موثوق، وحفظها يوسع أفق التلميذ ويرقيه في مجال التعليم والفهم.

٧ ـ دراسة علوم القرآن بعد ذلك من تفسير وتجويد وناسخ ومنسوخ وغير ذلك لأن المراحل الدراسية السابقة تمهد لبلوغ هذه المرحلة.

٨ ـ وينصح بعدم رواية الحديث من كل كتاب، إلا من الكتب الموثوقة التي أشار إليها في صحيح البخاري ومسلم.

٩ ـ الحذر من كتب الوعاظ والزهاد والمتصوفة الذين لا يهتمون بالتدقيق من الناحية العلمية في صحة الأحاديث ورواية الأخبار. وينصح باعتماد الطالب على كتاب ابن المبارك وأحمد بن حنبل وهناد بن السري.

١٠ ـ دراسة علم الفرائض فهو أصل الدين ويعتمد على الحساب الذي درسه سابقاً.

١١ ـ دراسة أصول الطب، ولعله يعني ما يتعلق بالقواعد الصحية العامة لأن ذلك يحتاجه كل إنسان.

١٢ ـ أن يتخصص العاقل بما يهم من كل علم ولا يتخصص في علم واحد فقط لأنه كما قال يكون إنساناً في الذي يعلم وبهيمة فيما لا يعلم ويضرب مثلاً على ذلك إذا كان نحوياً أو حاسباً، فالنحو وسيلة لاستقامة التعبير والكتابة والحساب وسيلة لدقة المعاملة وليسا غاية في ذاتهما.

أما حكمه بالجهل على من يقول بضرورة تخصص الدارس في علم واحد فقط، فإنه يقصد أن يفعل ذلك الطالب في مراحل دراسته الأولى لا بعد اجتياز تلك المرحلة، لأن الإنسان لا يستطيع إتقان جميع العلوم ولذلك يأخذ من كل علم بطرف وهو لا يقصد العلوم الدينية والجوانب الأساسية منها في الدرجة الأولى وإنما يقصد العلوم الأخرى.

وخلاصة رأيه أن يسير الطالب في دراسته على ذلك النحو من التدرج في الدراسة، وينفذ تلك الخطة الدراسية التي رسمها ويسميها قانوناً، وهو لا ينكر أن يكون للطالب ميل لعلم معين، بل هو يرى ذلك وتكون باقي العلوم تبعاً لما يميل إليه.

٤ ـ التربية الاجتماعية

يرى ابن سينا أن تكون التربية إجتماعية لا فردية أي أن يتلقى

الولد تربية مع أولاد آخرين لا منفرداً على معلم خاص وتعليل ذلك بقوله: «لأن الصبي عن الصبي ألقن وهو عنه آخذ وبه آنس، وانفراد الصبي الواحد بالمؤدب أجلب الأشياء إلى ضجرهما، فإذا راوح المؤدب بين الصبي والصبي كان ذلك أنفر للسآمة وأبقى للنشاط، وأحرص للصبي على التعلم والتخرج فإنه يباهي الصبيان مرة ويضبطهم مرة ويأنف من القصور من شأوهم مرة، ثم يحادث الصبيان، والمحادثة تفيد انشراح العقل وتحل من عقد الفهم لأن كل واحد من أولئك إنما يتحدث بأعذب ما رأى وأغرب ما سمع، فتكون غرابة الحديث سبباً للتعجب منه، والتعجب منه سبباً لحفظه وداعياً إلى التحدث به، ثم إنهم يترافقون ويتعاوضون الزيارة ويتكارمون. ويتعاوضون الحقوق، وكل ذلك من أسباب المباراة والمباهاة والمساجلة والمحاكاة، وفي ذلك تهذيب لأخلاقهم وتحريك لهممهم وتمرين لعاداتهم»[1].

إنّ ما ضمّنه ابن سينا في رأيه هذا من مبادىء تربوية ترجح بالفعل تربية الطفل مع مجموعة من أقرانه لا تعليمه وتربيته لوحده، لسببين أساسيين هما:

١ ـ إن جميع الحقائق والمبادىء التربوية والتعليمية مأخوذة من البيئة الاجتماعية وعلاقات الناس بعضهم ببعض.

٢ ـ إن الطفل سيصبح عضواً في الجماعة وفرداً من أفراد المجتمع يسهم في تطوره عندما يصبح رجلاً ويؤدي دوره الذي أُعدّ له، وهو لن يستطيع أداء هذا الدور إلا إذا عاش بالفعل تلك الحياة الاجتماعية وتدرب على الدور الذي سيقوم به في المستقبل، وقد أشار ابن سينا في رأيه الجامع إلى أسس تلك التربية الاجتماعية والإعداد لها في عبارات موجزة دقيقة واضحة جلية.

(١) ابن سينا «السياسة» ـ عن مختارات محمد ناصر ـ الفكر التربوي ص ٢٥٠ مرجع سابق

٥ - العلم والعمل

يذكر الإمام الغزالي[1] في رسالة «أيها الولد»: ان العلم المجرد لا يفيد إلا إذا اقترن بالعمل، ويضرب على ذلك مثلاً بقوله: «لو قرأ رجل مائة ألف مسألة علمية وتعلمها ولم يعمل بها لا تفيده إلا بالعمل... ولو قرأت العلم مائة سنة، وجمعت ألف كتاب لا تكون مستعداً لرحمة الله تعالى إلا بالعمل ﴿وأن ليس للإنسان إلا ما سعى﴾ ﴿فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً﴾ ﴿جزاء بما كانوا يكسبون﴾... وما تقول في هذا الحديث «بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان، وحج البيت من استطاع إليه سبيلا»، والإيمان قول باللسان، وتصديق بالجنان، وعمل بالأركان، ودليل الأعمال أكثر من أن يحصى وإن كان العبد يبلغ الجنة بفضل الله تعالى وكرمه، لكن بعد أن يستعد بطاعته وعبادته لأن رحمة الله قريب من المحسنين[2].

ويؤكد الغزالي على أن الغاية من طلب العلم والاستزادة منه هي العمل، وطاعة الله وعبادته، والعبادة متابعة الشارع في الأوامر والنواهي بالقول والفعل.

---

(١) هو محمد بن محمد بن أحمد، أبو حامد الطوسي الغزالي، ولد بطوس سنة ٤٥٠ هـ وكان والده يغزل الصوف ويبيعه في دكان له بطوس. قرأ الفقه بطوس، ثم سافر إلى جرجان، وسافر إلى نيسابور ولازم إمام الحرمين وبرع في المذهب والخلاف والجدل والمنطق وقرأ الحكمة والفلسفة وأحكم كل ذلك وفهم كلام أرباب هذه العلوم وتصدى للرد عليهم، وبعد وفاة إمام الحرمين لازم مجلسه وناظر الخصوم وقهرهم وولاه تدريس مدرسة في بغداد فتوجه إليها سنة ٤٨٤ هـ، وحج وتوجه إلى الشام وجاور ببيت المقدس واعتكف بالجامع الأموي ثم رجع إلى بغداد ثم رجع إلى طوس واتخذ بجانب داره مدرسة للفقهاء وتوفي بطوس سنة ٥٠٥ هـ ومن آثاره الهامة إحياء علوم الدين والأربعين في أصول الدين والمنقذ من الضلال ومقاصد الفلاسفة، وتهافت الفلاسفة، وجواهر القرآن.

(٢) الغزالي - أيها الولد ص ٢١ نشر محمد أديب كلكل - مكتبة دار الدعوة - حماة - سورية، بلا تاريخ.

ثانياً: آداب وصفاتُ المعلّم والمتعلّم

ويشمل هذا القسم الموضوعات الآتية:

١ ـ آداب وصفات المعلم

٢ ـ آداب وصفات المتعلم

٣ ـ أسماء بعض مشاهير المعلمين



١ - صفاتُ المعلّم وآدابُه

يبين ابن سينا صفات معينة للمعلم فيقول «وينبغي أن يكون مؤدب الصبي عاقلاً ذا دين، بصيراً برياضة الأخلاق، حاذقاً بتخريج الصبيان، وقوراً رزيناً بعيداً عن الخفة والسخف قليل التبذل والاسترسال بحضرة الصبي غير كز ولا جامد بل حلواً لبيباً ذا مروءة ونظافة ونزاهة، قد خدم سراة الناس، وعرف ما يتباهون به من أخلاق الملوك، ويتعايرون به من أخلاق السفلة، وعرف آداب المجالسة وآداب المؤاكلة والمحادثة والمعاشرة»[1].

ويقول الغزالي «ومن اشتغل بالتعليم فقد تقلد أمراً عظيماً وخطراً جسيماً فليحفظ آدابه ووظائفه»[2] ويذكر ثمان وظائف للمعلم ألخصها فيما يلي:

١ - الشفقة على المتعلمين وان يعاملهم معاملة أبنائه، ولذلك يرى أن حق المعلم أعظم من حق الوالدين، لأن الوالد سبب الوجود في الحياة الفانية، والمعلم سبب الحياة الباقية.

٢ - ألاّ يأخذ على التعليم أجراً ولا يقصد جزاءً ولا شكراً اقتداء برسول

---

(١) ابن سينا «السياسة» - الفكر التربوي ص ٢٥١ مرجع سابق.

(٢) احياء علوم الدين ج ١ ص ٨٢ مرجع سابق.

الله ﷺ بل يعلّم لوجه الله تعالى وطلباً للتقرب إليه، ولا يرى لنفسه منةً على تلاميذه وان كانت المنة لازمة عليهم، بل يرى الفضل لهم اذ هذبوا قلوبهم لأنه تتقرب إلى الله تعالى بزراعة العلوم فيها كالذي يعيرك الأرض لتزرع فيها لنفسك زراعة فمنفعتك بها تزيد على منفعة صاحب الأرض، فكيف تقلده منةً وثوابك في التعليم أكثر من ثواب المتعلم عند الله تعالى، ولولا المتعلم ما نلت هذا الثواب، «فلا تطلب الأجر الا من الله تعالى».

٣ ـ الا يدع من نصح المتعلم شيئاً، وذلك بأن يمنعه من التصدي لرتبة قبل استحقاقها والتشاغل بعلم خفي قبل الفراغ من الجلي، ثم ينبهه على أن الغرض بطلب العلوم القربى إلى الله تعالى دون الرياسة والمباهاة والمنافسة.

أرى ان هذه الوظيفة تشمل العلوم الدينية والعلوم الدنيوية كالرياضيات والفلك والفيزياء والكيمياء والطب والهندسة وغيرها، لأن هذه العلوم تكون وسيلة في التقرب من الله تعالى لأنها أساسية في تقدم الحضارة والرقي في هذه الدنيا، والمسلم يجب أن يكون قائداً وموجهاً في كل ناحية من نواحي الحياة وانه لا يستطيع تنفيذ أوامر دينه الا اذا أخذ بوسائل الحياة المتحضرة المتطورة ، والمعول على النية، والقصد من تعلم تلك العلوم، حتى ان العلوم الدينية ذاتها قد يتخذها بعض علماء السوء وسيلة للظهور والشهرة والوصول إلى المناصب الدنيوية، وهؤلاء لا خلاق لهم ولا حظ لهم من علمهم يوم القيامة ويؤمر بهم إلى جهنم وقد بين النبي ﷺ حال هؤلاء وأمثالهم في بعض أحاديثه.

وفي هذا الموضوع بحث العلّامة برهان الدين الزرنوجي[1] في

(١) هو برهان الدين الزرنوجي أحد علماء القرن السادس الهجري، توفي عام ٥٩١ هـ ١٢٤٢ م اهتم بالتعليم والف رسالة فيه اعتمد فيها على آراء من سبقه من العلماء ومن أشهرهم ابن سحنون =

رسالته «تعليم المتعلم طريق التعلم»، وتكلم عن الغاية من طلب العلم فقال:

«وينبغي أن ينوي المتعلم بطلب العلم رضاء الله تعالى والدار الآخرة وإزالة الجهل عن نفسه وعن سائر الجهال وإحياء الدين وإبقاء الإسلام، فإن بقاء الاسلام بالعلم، ولا يصح الزهد والتقوى مع الجهل.

أنشدني الأستاذ الشيخ الإمام الأجل برهان الدين صاحب الهداية:

فساد كبير عالم متهتك   وأكبر منه جاهل متنسك
هما فتنة في العالمين عظيمة   لمن بهما في دينه يتمسك

وينوي به الشكر على نعمة العقل وصحة البدن ولا ينوي به اقبال الناس عليه ولا استجلاب حطام الدنيا والكرامة عند السلطان وغيره»[١].

٤ ـ على المعلم أن ينهى المتعلم عن سوء الأخلاق بطريقة التعريض ما أمكن ولا يصرح، وبطريق الرحمة لا بطريق التوبيخ، وفي هذا يقول الغزالي: «فإن التصريح يهتك حجاب الهيئة ويورث الجرأة على الهجوم بالخلاف ويهيج الحرص على الإصرار».

أرى أن هذا الاسلوب في معاملة المتعلم مقتبس من طريقة النبي ﷺ في تعليم الناس، فقد كان لا يذكر المسيء والمقصر، بل يقول: ما بال أقوام يفعلون كذا وكذا لينتبه المقصر ويتعظ الغافل ويتحقق الهدف في

= والغزالي، واسم رسالته «تعليم المتعلم طريق التعلم» نشرتها دار احياء الكتب العربية بالقاهرة الطبعة الأولى وتقع في ٦٣ صفحة.

(١) محمد ناصر ـ الفكر التربوي العربي الاسلامي ج ٢ ص ٣٥١ «مختارات من رسالة تعليم المتعلم طريق التعلم» للزرنوجي ـ وكالة المطبوعات ـ الكويت ـ ط ١ ـ ١٩٧٧.

تعليم الخير.

٥ ـ اذا كان المعلم مختصاً بتدريس علم من العلوم فلا ينبغي له أن ينتقص من العلوم الأخرى ويذكر ذلك لتلاميذه، فهذه أخلاق مذمومة للمعلم ينبغي أن تجتنب، بل يجب على المختص بعلم معين أن يوسع على المتعلم طريق التعلم في غيره.

٦ ـ ان يراعي المعلم مقدار فهم التلميذ فلا يلقي إليه ما لا يفهمه ولا يبلغه عقله، فإن ذلك ينفره من العلم أو يخبط عليه عقله. ويرى الغزالي أن المعلم يفعل ذلك اقتداء بسيد البشر ﷺ حيث قال: «نحن معاشر الأنبياء أمرنا أن ننزل الناس منازلهم ونكلمهم على قدر عقولهم»[١].

٧ ـ ان المتعلم القاصر ينبغي أن يلقي إليه المعلم الجلي اللائق به ولا يذكر له ما وراء ذلك من تفاصيل ودقائق يصعب عليه ادراكها لئلا يفتر همته ويضعف من رغبته في الاقبال على تلقي تلك الأمور الجلية.

٨ ـ ان يكون المعلم عاملاً بعلمه فلا يكذب قوله فعله لأن العلم يدرك بالبصائر والعمل يدرك بالأبصار، وأرباب الأبصار أكثر. وفي هذا يقول تعالى : ﴿أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم﴾[٢].

ومن الآداب التي أوصى بها ابن جماعة الكناني المعلم، ما يلي[٣]:

١ ـ أن يتطهر ويلبس أحسن ثيابه اذا عزم على مجلس التدريس.

٢ ـ الاّ يدرس في وقت جوعه أو عطشه أو همه أو غضبه أو نعاسه أو قلقه

---

(١) المصدر السابق ـ ص ٨٧.

(٢) البقرة : ٤٤.

(٣) ابن جماعة الكناني ـ تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم ـ من مختارات محمد ناصر في كتابه الفكر التربوي ج ٢ ص ٣٨٨ ـ ٤٠٢ مرجع سابق.

ولا في حال برده المؤلم وحره المزعج، ويعلل ذلك بقوله: «فربما أجاب أو أفتى بغير الصواب ولأنه لا يتمكن مع ذلك من استيفاء النظر».

٣ ـ ان يجلس بارزاً لجميع الحاضرين ويوقر أفاضلهم بالعلم والسن والصلاح والشرف ويتلطف بالباقين ويكرمهم ويحسن السلام عليهم، ويخص من يكلمه أو يسأل أو يبحث معه بمزيد من الالتفات والاقبال عليه وان كان صغيراً.

من الملاحظ أن هذه الآداب في معاملة المعلم لتلاميذه تنطبق على الكبار من طلبة العلم، لأن التدريس في عصر ابن جماعة ـ وهو القرن السابع الهجري ـ وما قبله كان يجري في حلقات في المساجد أو في مدارس ولا حدود لسن الدارسين يومئذٍ، وهذا لا يمنع أن يتخلق المعلم في هذا العصر بتلك الصفات.

٤ ـ ان يتودد لغريب حضر عنده أثناء الدرس وينبسط له لينشرح صدره، فإن للقادم دهشة، ولا يكثر الالتفات والنظر إليه استغراباً فإن ذلك يخجله.

٥ ـ ان يمكث المدرس قليلاً بعد قيام الجماعة عند انتهائه من الدرس فإن في ذلك فوائد وآداباً له ولهم، منها عدم مزاحمتهم، ومنها ان كان في نفس أحد بقايا سؤال سأله، ومنها عدم ركوبه بينهم ان كان يركب، ويستحب أن يدعو بما ورد به الحديث: سبحانك اللهم وبحمدك لا إله الا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

٦ ـ ان يقصد بتعليم تلاميذه وجه الله ونشر العلم واحياء الشرع ودوام ظهور الحق وخمول الباطل ودوام خير الأمة بكثرة علمائها. قال رسول الله ﷺ «ان الله تعالى وملائكته وأهل السماوات والأرض حتى النملة في جحرها يصلون على معلمي الناس الخير».

٧ ـ ان يحب لطالب العلم ما يحب لنفسه ويكره له ما يكره لنفسه، وان يعتني بمصالحه ويعامله بما يعامل به أعز أولاده من الحنو والشفقة عليه والاحسان اليه والصبر على جفاء ربما وقع من نقص لا يكاد يخلو الانسان منه.

٨ ـ ان يتواضع مع الطالب وكل مسترشد سائل اذا قام بما يجب عليه من حقوق الله تعالى وحقوقه ويخفض له جناحه ويلين له جانبه قال تعالى: ﴿واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين﴾[١].

٢ ـ آدابُ وَصِفَاتُ المُتَعَلِّم

يذكر الإمام الغزالي آداب المتعلم ويرجعها إلى عشر وظائف هي[٢]:

١ ـ تقديم طهارة النفس عن رذائل الأخلاق ومذموم الأوصاف، إذ العلم عبادة القلب وصلاة السر وقربة الباطن إلى الله تعالى.

٢ ـ ان يقلل علائقه من الاشتغال بالدنيا.

٣ ـ ألّا يتكبر على العلم ولا يتأمر على المعلم بل يلقي اليه زمام أمره بالكلية، وينبغي أن يتواضع لمعلمه ويطلب الثواب والشرف بخدمته.

٤ ـ عدم الاصغاء الى اختلاف الناس سواء أكان العلم الذي يدرسه من علوم الدنيا أم من علوم الآخرة فإن ذلك يدهش عقله ويحير ذهنه، بل يتقن أولاً الطريقة الحميدة الواحدة المرضية عند أستاذه ثم يصغي بعد ذلك إلى المذاهب والشبه.

٥ ـ ألّا يدع طالب العلم فناً من العلوم المحمودة ولا نوعاً من أنواعه الا

(١) الشعراء: ٢١٥.

(٢) الغزالي ـ احياء علوم الدين ـ مرجع سابق ص ٧٨.

وينظر فيه نظراً يطلع به على مقصده وغايته..

٦ ـ ألاّ يخوض في فن من فنون العلم دفعة بل يراعي الترتيب ويبتدىء بالأهم. فان العمر إذا كان لا يتسع لجميع العلوم غالباً فالحزم ان يأخذ من كل شيء أحسنه.

٧ ـ ألاّ يخوض في فن حتى يستوفي الفن الذي قبله، فإن العلوم مرتبة ترتيباً ضرورياً وبعضها طريق إلى بعض، والموفق من راعى ذلك الترتيب والتدريج.

٨ ـ ان يعرف السبب الذي به يدرك أشرف العلوم وان ذلك يراد به شيئان احدهما شرف الثمرة، والثاني وثاقة الدليل وقوته..

٩ ـ أن يكون قصد المتعلم في الحال تحلية باطنه وتجميله بالفضيلة وفي المآل القرب من الله سبحانه وتعالى.. ولا يقصد به الرياسة والمال والجاه ومماراة السفهاء ومباهاة الأقران.

١٠ ـ أن يعلم نسبة العلوم إلى المقصد كي يؤثر الرفيع القريب على البعيد والمهم على غيره، ومعنى المهم ما يهمك، ولا يهمك الا شأنك في الدنيا والآخرة[١].

ويذكر ابن جماعة[٢] الكناني مجموعة من الآداب التي يجب أن يتحلى بها طالب العلم أوجزها فيما يلي[٣]:

(١) المصدر السابق ص ٨٣.

(٢) هو قاضي القضاة شيخ الاسلام بدر الدين محمد بن ابراهيم بن سعد الله بن جماعة الكناني ولد بحماه سنة ٦٣٩ هـ وتوفي بمصر سنة ٧٣٠ هـ، يذكر عنه صاحب شذرات الذهب أن له مشاركة حسنة في علوم الاسلام مع دين وتعبد وتصوف وأوصاف حميدة وأحكام محمودة، وقد اشتهر عنه مهارته في انشاء المدارس وتأسيسها على قواعد متينة والتعاهد عليها بأصول أنيقة وأساليب مبتكرة.

(٣) ملخصة من كتابه (تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم) نشر دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ بدون تاريخ وأخذ مختارات من الكتاب (محمد ناصر) في كتابه الفكر التربوي ج ٢ ص ٣٨٣ مرجع سابق.

١ ـ دوام مراقبة الله تعالى في السر والعلن، والعمل بالعلم. .

٢ ـ أن يصون العلم كما صانه علماء السلف، فلا يذله بذهابه إلى غير أهله.

٣ ـ أن يتخلق بالزهد في الدنيا والتقلل منها بقدر الامكان الذي لا يضر بنفسه أو بعياله.

٤ ـ ان ينزه علمه عن جعله سلمًا يتوصل به إلى الأغراض الدنيوية من جاه أو مال أو سمعة أو شهرة. .

٥ ـ ان يتنزه عن دنيّ المكاسب ورذيلها طبعاً وعن مكروهها عادة وشرعاً كالحجامة والدباغة والصرف والصياغة وكذلك يتجنب مواضع التهم وإن بعدت.

٦ ـ ان يحافظ على القيام بشعائر الاسلام وظواهر الأحكام كاقامته للصلاة في المساجد وإفشاء السلام والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والصبر على الأذى بسبب ذلك.

٧ ـ ان يحافظ على المندوبات الشرعية القولية والفعلية فيلازم تلاوة القرآن وذكر الله بالقلب واللسان.

٨ ـ معاملة الناس بمكارم الأخلاق من طلاقة الوجه وإفشاء السلام وإطعام الطعام وكظم الغيظ وكف الأذى عن الناس، والسعي في قضاء الحاجات وإرشاد الناس. .

٩ ـ ان يطهر باطنه وظاهره من الأخلاق الرديئة ويعمره بالأخلاق المرضية، ومحبة الله تعالى هي الخصلة الجامعة لمحاسن الصفات كلها وإنما تتحقق بمتابعة الرسول ﷺ ﴿قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم﴾ آل عمران آية ٣١.

١٠ ـ دوام الحرص على الازدياد بملازمة الجد والاجتهاد والمواظبة على وظائف الأوراد من العبادة والاشتغال والأشغال قراءة وإقراء ومطالعة وفكراً وتعليقاً وحفظاً وتصنيفاً وبحثاً، ولا يضيع شيئاً من أوقات عمره في غير ما هو بصدده من العلم والعمل الا بقدر الضرورة.

١١ ـ الا يستنكف أن يستفيد ما لا يعلمه ممن هو دونه منصباً أو نسباً أو سناً بل يكون حريصاً على الفائدة حيث كانت فالحكمة ضالة المؤمن يلتقطها أين وجدها.

١٢ ـ الاشتغال بالتصنيف والجمع والتأليف لكن مع تمام الفضيلة وكمال الأهلية، فانه يطلع على حقائق الفنون ودقائق العلوم للاحتياج إلى كثرة التفتيش والمطالعة والتنقيب والمراجعة، وهو كما قال الخطيب البغدادي يثبت الحفظ ويذكي القلب ويشحذ الطبع ويجيد البيان ويكسب جميل الذكر وجزيل الأجر ويخلده إلى آخر الدهر، والأولى أن يعتني بما يعم نفعه وتكثر الحاجة إليه، وليكن اعتناؤه بما لم يسبق إلى تصنيفه متحرياً ايضاح العبارة في تأليفه معرضاً عن التطويل الممل والايجاز المخل مع اعطاء كل مصنف ما يليق به، ولا يخرج تصنيفه من يده قبل تهذيبه وتكرير النظر فيه وترتيبه.

ويعقد ابن جماعة بعد ذلك فصلاً في كتابه «تذكرة السامع والمتكلم» هو الفصل الثالث بعنوان «في آدابه في درسه وقراءته في الحلقة وما يعتمده فيها مع الشيخ والرفقة»[١]، ونلاحظ ان جميع هذه الآداب مقتبسة من روح الاسلام ومبادئه القائمة على الأخذ بمعالي الأمور وسمو الروح وتثقيف العقل وصفاء النفس والعمل بما يرضي الله سبحانه وتعالى ويتفق مع سنة رسوله ﷺ وهذه هي المبادىء الخالدة التي تقوم عليها تربية شخصية المسلم

(١) المصدر السابق «الفكر التربوي» ج ٢ ص ٤١٧ ـ ٤٢٤.

وتنشئة شباب الأمة التي تقوم على سواعدهم أسس نهضتها وتقدمها وتحقيق عزتها بين أمم الأرض.

والأدب الأول الذي ينبغي أن يأخذ به طالب العلم أن يبتدىء بكتاب الله العزيز فيتقنه حفظاً ويجتهد على اتقان تفسيره وسائر علومه فإنه أصل العلوم وأمها وأهمها.

ثم يحفظ من كل فن مختصراً يجمع فيه بين طرفين من الحديث وعلومه والنحو والتصريف ولا يشتغل بذلك كله عن دراسة القرآن وتعهده وملازمة ورده منه في كل يوم.

ويرى أن تكون دراسة الطالب على المشايخ ويحذر من الاعتماد على الكتب وحدها، بل يعتمد في كل فن من هو أحسن تعليمًا له وأكثر تحقيقاً فيه وتحصيلاً منه وأخبرهم بالكتاب الذي قرأه.

وليحذر في بداية دراسته من الاشتغال في الاختلاف بين العلماء أو بين الناس مطلقاً، فان ذلك يحير الذهن ويدهش العقل، بل يتقن أولاً كتاباً واحداً أو كتباً في فنونه ان كان يحتمل ذلك على طريقة واحدة يرتضيها له شيخه.

وعلى الطالب أن يصحح ما يقرؤه قبل حفظه تصحيحاً متقناً اما على الشيخ أو على غيره مما يعينه ثم يحفظه بعد ذلك حفظاً محكمًا ثم يكرر عليه بعد حفظه تكراراً جيداً ثم يتعاهده في أوقات يقررها لتكرار مواضيعه ولا يحفظ شيئاً قبل تصحيحه لأنه يقع في التحريف والتصحيف، فإن العلم لا يؤخذ من الكتب فإنه من أضر المفاسد.

ويعتني أولاً بصحيحي البخاري ومسلم ثم ببقية الكتب الأعلام والأصول المعتمدة في هذا الشأن كموطأ مالك وسنن أبي داود والنسائي

وابن ماجه وجامع الترمذي ومسند الشافعي ولا ينبغي أن يقتصر على أقل من ذلك.

ولا يقنع بمجرد السماع بل يعتني بالدراية أشد من اعتنائه بالرواية، قال الشافعي: «من نظر في الحديث قويت حجته لأن الدراية هي المقصودة بنقل الحديث وتبليغه».

واذا كملت أهلية الدارس وظهرت فضيلته ومر على أكثر كتب الفن أو المشهورة منها بحثاً ومراجعة ومطالعة اشتغل بالتصنيف وبالنظر في مذاهب العلماء سالكاً طريق الانصاف فيما يقع له من الخلاف.

وينبغي أن يتذاكر مع رفاقه الدارسين ما أخذوا من فوائد وضوابط وقواعد من دروس أستاذهم وان يعيدوا كلامه فيما بينهم فإن في المذاكرة نفعاً عظيمًا، وينبغي أن تكون المذاكرة عند القيام من مجلس الشيخ قبل تفرق أذهانهم وتشتت خواطرهم. وان لم يجد الطالب من يذاكره ذاكر نفسه بنفسه وكرر معنى ما سمعه ولفظه على قلبه ليعلق ذلك على خاطره، فإن تكرار المعنى على القلب كتكرار اللفظ على اللسان سواء بسواء، وقلّ أن يفلح من يقتصر على الفكر والتعقل بحضرة الشيخ خاصة ثم يتركه ويقوم ولا يعاوده.

اذا أمعنا النظر في مجمل الآداب التي ذكرها ابن جماعة ندرك ظاهرة غريبة وصفة عامة كانت شائعة في جميع طلاب العلم وهي الممارسة الفعلية للدراسة والتعلم عن طريق البحث والكتابة واستمرار التجربة والانتاج الفكري والتدرج فيه حتى يبلغ كماله بسعة الاطلاع ودوام التأليف وحضور مجالس العلم، لأن طلب العلم لم يكن وسيلة للوصول إلى وظيفة دنيوية أو بلوغ غاية مادية حيث تتوقف الدراسة عند بلوغها كما يحصل في زمننا هذا، بأن يجعل كل دارس هدفه الحصول على الشهادة

الجامعية التي يساوي راتبها الشهري كذا من المال ثم السعي للحصول على شهادة الماجستير فالدكتوراه فراتبها أكثر ومجال الكسب بها أوفر، فكل وسيلة في نظر الدارسين ـ في زمننا هذا ـ توصلهم إلى الحصول على شهادة من تلك الشهادات سواء أكانت شريفة أم غير شريفة فهي المعول عليها وهي المقصودة، ولا دراسة بعد ذلك ولا اطلاع على أية قضية علمية ولا كتابة في بحث أو معالجة لموضوع، وهذا شأن أكثر حملة الشهادات العليا من المثقفين في وطننا العربي، حتى ان الكثير منهم ليعجز عن كتابة بحث أو تأليف كتاب صغير الحجم في مادة تخصصه، وهذه احدى مشكلات مجتمعنا، وقد أشرت إلى أسباب نشأتها ولعل ذلك يوضح لنا طريق معالجتها، ويكتب حول هذه المشكلة من يجد الحلول المفيدة المجدية.

ويعقد ابن جماعة بعد ذلك فصلاً خاصاً لأدب الطالب مع شيخه وقدوته وما يجب عليه من عظيم حرمته، ويحدد ذلك في ثلاثة عشر واجباً ألخصها فيما يلي:

١ ـ ان يقدم النظر ويستخير الله فيمن يأخذ العلم عنه ويكتسب حسن الأخلاق والآداب منه.

٢ ـ ان ينقاد بشيخه في أموره ولا يخرج عن رأيه وتدبيره.. قال الغزالي: لا ينال العلم الا بالتواضع وإلقاء السمع.

٣ ـ ان ينظر إلى أستاذه بعين الإجلال ويعتقد فيه درجة الكمال فإن ذلك أقرب إلى نفعه به.

٤ ـ ان يعرف له حقه ولا ينسى له فضله، ومن ذلك أن يعظم حرمته ويرد غيبته ويغضب لها، وأن يدعو له مدة حياته ويرعى ذريته وأقاربه بعد وفاته ويتعهد زيارة قبره والاستغفار له والصدقة عنه.

٥ ـ أن يصبر على جفوة تصدر من شيخه أو سوء خلق، ولا يصده ذلك

عن ملازمته وحسن عقيدته.

٦ ـ ان يشكره على توقيفه على ما فيه فضيلة وعلى توبيخه على ما فيه نقيصة أو على كل ضعف يعتريه أو قصور يعانيه..

٧ ـ ان لا يدخل على الشيخ في غير المجلس العام الا باستئذان سواء أكان الشيخ وحده أم كان معه غيره.. وأن يدخل على الشيخ كامل الهيئة متطهر البدن والثياب نظيفهما، لا سيما ان كان يقصد مجلس العلم فإنه مجلس ذكر واجتماع في عبادة.

٨ ـ ان يجلس بين يدي الشيخ مجلس الأدب، ثم يفصل القول فيما يعني مجلس الأدب ويذكر أموراً دقيقة لا تخطر على بال في مجال الاحترام والذوق، من ذلك: عدم الالتفات من غير ضرورة، ولا ينظر الا الى الشيخ، ولا يعبث بلحيته أو بأنفه ولا يفتح فاه ولا يضرب الأرض براحته، ولا يشبك بيديه أو يعبث بأزراره، ولا يستند الى حائط أو مخدة، ولا يكثر التنحنح.

٩ ـ ان يحسن خطابه مع الشيخ بقدر الامكان ولا يقول له لِـمَ، ولا نسلم، ومن نقل هذا، وأين موضعه، وما شابه ذلك. فان اراد استفادته تلطف في الوصول إلى ذلك. ولا يقول للشيخ: أنت قلت كذا وكذا..

١٠ ـ اذا سمع من الشيخ شيئاً يعرفه فليصغ إليه اصغاء مستفيد متعطش إليه كأنه لم يسمعه.. واذا لم يسمع كلام الشيخ لبعده أو لم يفهمه من عدم الاصغاء إليه والاقبال عليه، فله أن يسأل الشيخ اعادته وتفهيمه بعد بيان عذره بسؤال لطيف.

١١ ـ ألّا يسبق الشيخ إلى شرح مسألة او جواب سؤال منه أو من غيره ولا يساوقه فيه ولا يظهر معرفته به أو ادراكه له قبل الشيخ، وألا يقطع

على الشيخ كلامه ثم يتكلم ولا يتحدث مع غيره والشيخ يتحدث معه أو مع جماعة المجلس، وليكن ذهنه حاضراً في كل وقت بحيث اذا أمره بشيء أو سأله عن شيء أو أشار إليه بشيء لم يحوجه إلى اعادته ثانياً. .

١٢ ـ اذا ناوله الشيخ شيئاً تناوله باليمين، وان ناوله شيئاً ناوله باليمين، فإن كان ورقة يقرؤها نشرها ثم دفعها إليه ولا يدفعها إليه مطوية إلا اذا علم أو ظن ايثار الشيخ لذلك. واذا ناول الشيخ كتاباً ناوله اياه مهيئاً لفتحه والقراءة فيه من غير احتياج الى ادارته، فاذا كان النظر في موضع معين فليكن مفتوحاً كذلك. ويعين له المكان ولا يحذف اليه الشيء حذفاً من كتاب أو ورقة أو غير ذلك. .

١٣ ـ اذا مشى الشيخ فليكن الطالب أمامه بالليل وخلفه بالنهار إلّا ان يقتضي الحال خلاف ذلك لزحمة أو غيرها، واذا مشى أمامه التفت اليه بعد كل قليل، ويحترز من مزاحمته بكتفه أو بركابه ان كانا راكبين وملاصقة ثيابه، ويؤثره بجهة الظل في الصيف. . ولا يمشي بين الشيخ وبين من يحدثه، ويتأخر عنهما اذا تحدثا، أو يتقدم ولا يضرب ولا يستمع، ولا يلتفت، فإن أدخله في الحديث فليأت من جانب آخر ولا يشق بينهما. واذا صادف الشيخ في طريقه بدأ بالسلام ويقصده بالسلام ان كان بعيداً ولا يناديه ولا يسلم عليه من بعيد ولا من ورائه بل يقرب منه ويتقدم عليه ثم يسلم. .[1]

كانت تلك آداب الطالب مع أستاذه فما أحوج طلاب العلم في وقتنا الحاضر الى الاطلاع عليها ودراستها وتطبيقها في حياتهم الدراسية فهي تجسيد واقعي لأخلاقنا الإسلامية المستمدة من قرآننا وهدي نبينا محمد ﷺ،

---

(١) المصدر السابق ـ ص ٤٠٧ ـ ٤١٦.

ولا فلاح لنا ولا نجاح الا بالعمل بها والتمسك بآدابها.

٣ - بعض مشاهير المعلمين

عدد ابن قتيبة[1] في كتابه «المعارف» عدداً من اسماء المعلمين القدماء وذكر «ابن رستة»[2] الأسماء ذاتها في كتابه «الاعلاق النفيسة» وهم:

أبو بكر صالح الكلبي، كان يعلم الصبيان

أبو عبد الرحمن السلمي، وكان مكفوفاً.

معبد الجهني العذري.

الضحاك بن مزاحم، وعبد الله بن الحارث، قال عنهما سفيان بن عيينة إنهما يعلمان ولا يأخذان أجراً.

قيس بن سعد

عطاء بن أبي رباح

عبد الكريم أبو أمية.

حسن المعلم، وهو حسن بن ذكوان.

القاسم بن مخيمرة الهمذاني.

الكميت بن زيد «الشاعر»: حدثني أبو حاتم الأصمعي عن خلف الأحمر قال: رأيت الكميت في مسجد الكوفة يعلم الصبيان.

حبيب المعلم، مولى معقل بن يسار

عبد الحميد، كاتب بني أمية.

أبو البيداء.

أبو عبد الله، كاتب الرسائل.

---

(١) محمد العروسي المطوي ـ كتاب آداب المعلمين لابن سحنون ص ١٣٩ الشركة التونسية لفنون الرسم نقلاً عن ابن قتيبة.

(٢) ابن رستة ـ الاعلاق النفيسة ص ٢١٦ المجلد السابع.

الحجاج بن يوسف، كان بالطائف واسمه كليب وأبوه يوسف كان معلماً.

علقمة بن أبي علقمة، مولى عائشة، كان يروي عنه مالك بن أنس وكان له مكتب يعلم فيه العربية والنحو والعروض، ومات في خلافة المنصور.

أبو معاوية النحوي، واسمه شيبان بن عبد الرحمن مولى بني تميم، وكان يؤدب ولد داود بن علي وكان محدثاً.

أبو سفيان بن أمية بن عبد شمس.

وأبو قيس بن عبد مناف بن زهرة، علمهما بشر بن عبد الملك العبادي، فعلما أهل مكة.

الزهري، وكان مؤدباً لهشام بن عبد الملك وعمر بن زرارة التميمي وغيلان بن سلمة الثقفي، وأحمد بن أبي دؤاد الأيادي.

أبو سعيد المؤدب، واسمه محمد بن مسلم بن أبي الوضاح من قضاعة، ضمه المنصور إلى المهدي، ثم ضم بعده إليه سفيان بن حسين. وكان أبو سعيد يروي عن سالم الأفطس وخصيف وعلي بن جذيمة وهشام بن عروة والأعمش.

أبو اسماعيل المؤدب، إبراهيم بن سليمان وكان محدّثاً أيضاً.

أبو عبيد القاسم بن سلام، مولى الأزد من أبناء أهل خراسان كان مؤدباً وولي قضاء طرسوس أيام ثابت بن نضر بن مالك ولم يزل معه ومع ولده وحج بعد قدومه بغداد وبعد أن صنف ما صنف من كتبه توفي بمكة سنة ٢٢٤ هـ.

ثالثاً: خصائص التعليم ومشكلاته

ويشمل هذا القسم الموضوعات التالية:

١ ـ طرق التدريس وأساليب تربية التلاميذ.

٢ ـ مراعاة ميول التلاميذ في تعليمهم

٣ ـ معالجة مشكلات التلاميذ:

أ ـ التغيب عن المدرسة والإجازات المدرسية.

ب ـ استعانة المعلم بالعريف.

جـ ـ الثواب والعقاب.

د ـ التعليم المختلط وتعليم البنات.

٤ ـ إلزامية التعليم.

٥ ـ مدة الدراسة.

٦ ـ الإمتحانات.

٧ ـ التربية الجسمية.



١ـ طرق التدريس وأساليب تربية التلاميذ

يوصي القابسي بالرفق في تعليم الأولاد فيقول:

«ومن حسن رعايته أن يكون بهم رفيقاً، فإنه قد جاء عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «اللهم من ولي من أمر أمتي شيئاً فرفق بهم فارفق به» وقد قال رسول الله ﷺ: «إن الله يحب الرفق في الأمر كله. وإنما يرحم الله من عباده الرحماء»[1].

ثم ينتقل القابسي إلى تفصيل مسألة الرفق في معاملة الأولاد مجيباً عن سؤال من سالم فيقول: «قال أبو الحسن فقولك هل يستحب للمعلم التشديد على الصبيان أو ترى أن يرفق بهم ولا يكون عبوساً، لأن الأطفال كما علمت تدخل في هذه الوصية المتقدمة، ولكن إذا أحسن المعلم القيام وعني بالرعاية، وضع الأمور مواضعها، لأنه هو المأخوذ بأدبهم والناظر في زجرهم عما لا يصلح لهم، والقائم بإكراههم على مثل مناصفهم، فهو يسوسهم في كل ذلك بما ينفعهم ولا يخرجهم ذلك من حسن رفقه بهم ولا من رحمته اياهم فإنما هو لهم عوض من آبائهم، فكونه عبوس أبداً من الفظاظة الممقوتة، ويستأنس الصبيان بها فيجترئون

(١) القابسي ـ الرسالة المفصلة لأحوال المعلمين ص ٣١١ ـ نشر الأهواني دار إحياء الكتب العربية ـ القاهرة ١٩٥٥ والحديث في صحيح البخاري.

عليه، ولكنه إذا استعملها عن استئهالهم الأدب صارت دلالة على وقوع الأدب فيهم. فلم يأنسوا اليها، فيكون فيها إذا استعملت أدباً لهم في بعض الأحايين دون الضرب وفي بعض الأحايين يوقع الضرب معها بقدر الاستئهال الواجب في ذلك الجرم. ولكن ينبغي له الا يتبسط اليهم تبسط الاستئناس في غير تقبض موحش في كل الأحايين. ولا يضاحك أحداً منهم على حال ولا يبتسم في وجهه، وإن أرضاه وأرجاه على ما يجب، ولكنه لا يغضب عليه فيوحشه إذا كان محسناً»[1].

ومن الأساليب المفيدة التي أشار إليها القابسي في تربية تلاميذه، أن يعدل المعلم بينهم في التعلم ولا يفضل بعضهم على بعض وان تفاضلوا في الأجر الذي يتقاضاه منهم على تعليمهم، أو في الهدايا التي يقدمونها اليه.

ويرى كذلك أن الصبي إذا أرسل وراءه ليتغدى فيأذن المعلم له ولا يمنعه من طعامه وشرابه، ويأخذ عليه في سرعة الرجوع إذا فرغ من طعامه.

ويرى ابن سحنون: أنه لا بأس أن يجعل المعلم تلاميذه يملي بعضهم على بعض لأن ذلك منفعة لهم وليتفقد املاءهم.

ولا يجوز أن ينقلهم من سورة الى سورة حتى يحفظوها باعرابها وكتابتها إلا أن يسهل له الآباء، فإن لم يكن لهم آباء وكان لهم أولياء أو وصي[2]. . . وقد أيد القابسي ما ذهب اليه ابن سحنون[3].

ومن الأساليب النافعة في التدريس التي أشار اليها القابسي نهيه

---

(١) المرجع السابق ص ٣١٢.

(٢) ابن سحنون ـ آداب المعلمين ص ١٠٥ نشر محمد العروسي المطوي مرجع سابق.

(٣) القابسي ـ «الرسالة المفصلة» ص ٣١٥ مرجع سابق.

عن استعمال القراءة الجماعية في تعليم القراءة، وعلل ذلك بقوله: «لأن اجتماعهم في القراءة بحضرته يخفي عنه قوة الحفظ من الضعيف»[١] ولكنه لا يرى بأساً من القراءة الجماعية إذا كانت تنشط التلاميذ ويعلمهم المعلم أنه سيستمع إلى قراءة كل منهم بمفرده بعد ذلك.

ومن الأساليب التربوية الناجحة التي اهتم بها علماء التربية المسلمون التدرج في كمية المادة العلمية التي تعطى للمتعلم القراءة والكتابة، ويطلقون على الدرس الذي يعطى للتلميذ اسم «السَّبق»، وقد تحدث الشيخ برهان الدين الزرنوجي عن هذا الموضوع في رسالته «تعليم المتعلم طريق التعلم».

فقال: «قال مشايخنا رحمهم الله تعالى: ينبغي ان يكون قدر السبق للمبتدىء قدر ما يمكن ضبطه بالإعادة مرتين بالرفق، ويزيد كل يوم كلمة، حتى أنه وإن طال السبق وكثر يمكن ضبطه مرتين ويزيد بالرفق والتدريج، فأما إذا طال السبق في الابتداء واحتاج إلى الإعادة عشر مرات فهو في الانتهاء أيضاً يكون كذلك لأنه يعتاد ذلك ولا يترك تلك العادة إلا بجهد كثير. وقد قيل: السبق حرف، والتكرار ألف وينبغي أن يبتدىء بشيء يكون أقرب الى فهمه... وكان مشايخنا يختارون للمبتدىء صغار المبسوط لأنه اقرب الى الفهم والضبط وأبعد عن الملالة وأكثر وقوعاً بين الناس[٢].

وينبغي أن يعلق السبق بعد الضبط والإعادة كثيراً فإنه نافع جداً، ولا يكتب المتعلم شيئاً لا يفهمه، فإنه يورث كلالة الطبع ويذهب الفطنة ويضيع أوقاته»[٢].

(١) الزرنوجي ـ تعليم المتعلم ـ مختارات من الفكر التربوي ـ محمد ناصر ج ٢، ص ٣٤٥، مرجع سابق.

(٢) الفكر التربوي ج ٢ ص ٣٦٣ مصدر سابق.

ومن المفيد ان أبين هنا أن النهي عن كتابة شيء غير مفهوم مبنيٌ على حقيقة نفسية تجريبية في مجال التعلم وهي أن تعلم النصوص المفهومة وتذكرها أسرع وأسهل من تعلم النصوص غير المفهومة ويرجع ذلك إلى الجهد الفكري الذي يبذله المتعلم في تلقي الأمور غير المفهومة وسهولة تلقي الكلمات أو النصوص المفهومة.

ثم يتابع الشيخ الزرنوجي كلامه عن التلميذ المتعلم فيقول:

«وينبغي أن يجتهد في الفهم عن الاستاذ، أو بالتأمل والتفكر وكثرة التكرار، فإنه إذا قل السبق وكثر التكرار والتأمل يدرك ويفهم، فقد قيل: «حفظ حرفين خير من سماع وقرين، وفهم حرفين خير من حفظ وقرين». وإذا تهاون في الفهم ولم يجتهد مرة أو مرتين يعتاد ذلك فلا يفهم الكلام اليسير. فينبغي ألاّ يتهاون في الفهم بل يجتهد ويدعو الله تعالى ويتضرع إليه فإنه يجيب من دعاه ولا يخيّب من رجاه[١].

ثم ينتقل الزرنوجي إلى ذكر أسلوب نافع آخر من أساليب الدراسة وهو المذاكرة والمناظرة والمطارحة، ويرى أن يكون ذلك بالانصاف والتأني والتأمل، بعيداً عن الشغب والغضب، لأن المناظرة والمذاكرة مشاورة، والمشاورة إنما تكون لاستخراج الصواب، وذلك إنما يحصل بالتأمل والتأني والانصاف، فإن كانت نية المذاكرة والمناظرة إلزام الخصم فلا تحل المناظرة وإنما تحل لإظهار الحق، والتمويه والحيلة فيها لا تجوز إلا إذا كان الخصم متعنتاً لا طالباً للحق... وفائدة المطارحة والمناظرة أقوى من فائدة مجرد التكرار لأن فيها تكراراً وزيادة، فقد قيل: مطارحة ساعة خير من تكرار شهر، ولكن إذا كان مع منصف سليم الطبيعة، وينصح الزرنوجي ويحذر من المذاكرة مع متعنتٍ غير

(١) المصدر السابق ص ٣٦٤.

مستقيم الطبع، فإن الطبيعة متسربة والأخلاق متعدية والمجاورة مؤثرة.

ويوصي الزرنوجي المتعلم بالتأمل في دقـائق العلوم في جميع الأوقات ويعتاد ذلك، فإنما ندرك الدقائق بالتأمل، ولهذا قيل: «تأمل تدرك»، ولا بد من التأمل قبل الكلام حتى يكون صواباً، فإن الكلام كالسهم فلا بد من تقويمه بالتأمل قبل الرمي حتى يكون مصيباً.

ويرشد المتعلمين إلى طريقة ناجحة في التعلم فيقول:

«وينبغي لطالب العلم أن يكرر سبق الأمس خمس مرات، وسبق اليوم الذي قبل الأمس أربع مرات، والسبق الذي قبله مرة واحدة، فهذا أدعى إلى الحفظ». ثم ينصح طالب العلم ألاّ يعتاد المخافتة في التكرار بل ينبغي أن تكون الدراسة بقوة ونشاط دون جهد في الجد، فخير الأمور أوسطها.

من الأساليب النافعه في التدريس التي أشار إليها ابن جمـاعة الكناني[1]: عدم تطويل المعلم الدرس تطويلاً مملاً أو تقصيره تقصيراً مخلاً، بل يراعي في ذلك مصلحة التلاميذ، وألاّ يذكر شبهة في درس ويؤخر الجواب عنها إلى درس آخر، بل يذكرهما جميعاً أو يضعهما جميعاً، وألاّ يرفع صوته زائداً على قدر الحاجة ولا يخفضه خفضاً لا يحصل معه كمال الفائدة، والأولى ألاّ يجاوز صوته مجلسه، ولا يقصر عن سماع الحاضرين، فإن حضر فيهم ثقيل السمع فلا بأس بعلو صوته بقدر ما يسمعه. ويجب ألاّ يسرد الكلام سرداً بل يرتله ويرتبه ويتمهل فيه ليفكر فيه هو وسامعه. وقد روي أن كلام رسول الله ﷺ كان فصلاً يفهمه من سمعه، وأنه كان إذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثاً لتفهم عنه.

(١) ابن جماعة الكناني ـ تذكرة السامع والمتكلم ـ مختارات محمد ناصر ـ الفكر التربوي ج ٢ ص ٣٩ ـ ٩٥.

وإذا فرغ من مسألة أو فصل سكت قليلا حتى يتكلم من في نفسه لئلا يقطع أحد عليه كلامه، فإذا لم يسكت هذه السكتة ربما فاتت الفائدة.

ويرى كذلك «ألاّ يلقي المعلم إلى تلميذه ما لم يتأهل له، لأن ذلك يبدد ذهنه ويغرق فهمه، فإن سأله الطالب شيئاً من ذلك لم يجبه، ويعرفه إن ذلك يضره ولا ينفعه، وإنّ منعه إياه منه لشفقة عليه ولطف به لا بخلاً عليه ثم يرغبه عند ذلك في الاجتهاد والتحصيل ليتأهل لذلك وغيره. وقد ورد في تفسير الرباني أنه الذي يربي الناس بصغار العلم قبل كباره»[1].

وأن يحرص على تعليمه وتفهيمه ببذل جهده وتقريب المعنى له من غير إكثار لا يحتمله ذهنه أو بسط لا يضبطه حفظه ويوضح لمتوقف الذهن العبارة ويحتسب إعادة الشرح له وتكراره. ويعرض المسائل ويوضحها بالأمثلة وذكر الدلائل ويقتصر على تصوير المسألة وتمثيلها لمن لم يتأهل لفهم مأخذها ودليلها، ويذكر الأدلة والمأخذ لمحتملها ويبين له معاني أسرار حكمها وعللها وما يتعلق بتلك المسألة من فروع وأصل.

ولا يمنع من ذكر لفظة يستحي من ذكرها عادة إذا احتيج إليها ولم يتم التوضيح الا بذكرها..

ويشير إلى ناحية هامة تحقق تثبيت المعلومات في ذهن الطلاب في نهاية الدرس، وهي ما تعرف في طرق التدريس الحديثة بمرحلة المراجعة والتطبيق فيقول في هذا «إذا فرغ الشيخ من شرح درسٍ فلا بأس بطرح مسائل تتعلق به على الطلبة يمتحن بها فهمهم وضبطهم لما شرح لهم، فمن ظهر استحكام فهمه له بتكرار الإصابة في جوابه شكره،

---

(١) المصدر السابق ص ٣٩٧.

ومن لم يفهمه تلطف في إعادته له. والمعنى بطرح المسائل أن الطالب ربما استحيا من قوله لم أفهم إما لرفع كلفة الاعادة على الشيخ أو لضيق الوقت أو حياء من الحاضرين أو كيلا تتأخر قراءتهم بسببه ولذلك قيل لا ينبغي للشيخ أن يقول للطالب هل فهمت إلا إذا أمن من قوله نعم قبل أن يفهم، فإن لم يأمن من كذبه لحياء أو عزة فلا يسأله عن فهمه لأنه ربما وقع في الكذب بقوله نعم...[1].

ونبه ابن جماعة إلى ناحية هامة أخرى وهي فهم الطلاب لما يقدمه المعلم من معلومات وعدم الاكتفاء بحفظها بدون فهم وذلك عن طريق الإعادة والتفكير والمذاكرة فيما بينهم فيقول في هذا «وينبغي للشيخ أن يأمر الطلبة بالمرافقة في الدروس وبإعادة الشرح بعد فراغه فيما بينهم ليثبت في أذهانهم ويرسخ في أفهامهم ولأنه يحثهم على استعمال الفكر ومؤاخذة النفس بطلب التحقيق.

ونبه كذلك إلى مسألة هامة أخرى وهي: «ان لا يظهر المعلم للطلبة تفضيل بعضهم على بعض عنده في مودة أو اعتناء مع تساويهم في الصفات من سن أو فضيلة أو تحصيل أو ديانة، فإن ذلك ربما يوحش منه الصدر وينفر القلب، فإن كان بعضهم أكثر تحصيلاً وأشد اجتهاداً أو أحسن أدباً فأظهر اكرامه وتفضيله وبيّن أن زيادة اكرامه لتلك الأسباب فلا بأس بذلك لأنه ينشط ويبعث على الانصاف بتلك الصفات... وينبغي أن يتودد لحاضرهم ويذكر غائبهم بخير وحسن ثناء، وينبغي أن يستعلم أسماءهم وأنسابهم ومواطنهم وأحوالهم ويكثر الدعاء لهم بالصلاح»[2].

إن مسألة تعرف المعلم على اسماء طلابه وأنسابهم ومواطنهم

(١) المصدر السابق ص ٣٩٨.

(٢) المصدر السابق ص: ٤٠٠.

وأحوالهم قضية هامة في التعليم والتربية، وقد غفل عنها المعلمون في عصرنا الحاضر في جميع مراحل التعليم بسبب كثرة اعداد الطلاب الذين يعلمهم المعلم في صف واحد ويؤدي هذا إلى انقطاع الصلة الروحية بينه وبينهم وعدم ظهور أي تجاوب فيما بينه وبينهم يؤدي إلى حل مشكلاتهم ومساعدتهم في فهم كثير من المسائل التي تبقى غامضة بسبب ذلك. ويصبح هذا التباعد بين المعلم وتلاميذه عادة ولو كان عددهم قليلاً في الصف، سواء أكان ذلك في المرحلة الجامعية أم في غيرها.

لذلك فإني أدعو المعلم إلى التعرف على أسماء طلبته في بداية كل عام دراسي ويتم ذلك عن طريق مقابلة شخصية لكل منهم في وقت غير وقت الدراسة ويتخذ لذلك سجلاً يذكر فيه اسم الطالب واسم أبيه ونسبه ومهنة الأب وموطنه وبعض صفات الطالب البارزة الجسمية والخلقية والعقلية التي تظهر له من خلال هذه المقابلة، وأرى أن هذه الطريقة ممكنة التنفيذ إذا كان يتراوح عدد الطلاب الذين يدرسهم المعلم بين (٢٠ ـ ٤٠) طالباً، وإذا كان العدد كبيراً فيمكن للأستاذ أن يقتصر على معرفة إسم الطالب واسم أبيه فقط..

ويوصي ابن جماعة المعلم بأن يتعاهد تلاميذه ما يعامل به بعضهم بعضاً من إفشاء السلام وحسن التخاطب في الكلام والتحاب والتعاون على البر والتقوى وعلى ما هم بصدده، وبالجملة فكما يعلمهم مصالح دينهم لمعاملة الله تعالى يعلمهم مصالح دنياهم لمعاملة الناس لتكمل لهم فضيلة الحالتين[1].

ويوصي المعلم كذلك بأن يسعى في مصالح الطلبة وجمع

---

(١) المصدر السابق ص ٤٠١.

قلوبهم. ومساعدتهم بما تيسر له من جاه ومال عند قدرته على ذلك وسلامة دينه وعدم ضرورته فإن الله تعالى في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه، وإذا غاب بعض الطلبة أو ملازمي الحلقة زائداً عن العادة سأل عنه وعن أحواله وعن من يتعلق به فإن لم يخبر عنه بشيء أرسل إليه أو قصد منزله بنفسه وهذا أفضل، فإن كان مريضاً عاده، وإن كان في غم خفض عليه، وإن كان مسافراً تفقد أهله ومن يتعلق به وسأل عنهم وتعرض لحوائجهم ووصلهم بما أمكن، وإن كان فيما يحتاج إليه فيه أعانه وإن لم يكن شيء من ذلك تودد عليه ودعا له[١].

الوجه المفيد للتعليم

يرى ابن خلدون[٢] ان تلقين العلوم للمتعلمين إنما يكون مفيداً إذا كان على التدريج شيئاً فشيئاً وقليلاً قليلاً يلقي عليه أولاً مسائل من كل باب من الفن هي أصول ذلك الباب، ويقرّب له في شرحها على سبيل الاجمال، ويراعي في ذلك قوة عقله واستعداده لقبول ما يرد عليه حتى ينتهي إلى آخر الفن، وعند ذلك يحصل له ملكة في ذلك العلم إلا أنها جزئية وضعيفة وغايتها أنها هيأته لفهم الفن وتحصيل مسائله، ثم يرجع به إلى الفن ثانية فيرفعه في التلقين عن تلك الرتبة إلى أعلى منها ويستوفي الشرح والبيان ويخرج عن الاجمال ويذكر له ما هنالك من

(١) المصدر السابق ص ٤٠١.

(٢) هو عبد الرحمن محمد بن محمد بن خالد بن الخطاب ٧٣٢ ـ ٨٠٨هـ / ١٣٣٢ ـ١٤٠٦م ولد بتونس ودرس فيها وعمل في تونس وفاس والأندلس، وألف كتابه (كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر) واشتهر هذا الكتاب بمقدمته وذهب إلى الاسكندرية والقاهرة وتولى القضاء بمصر وسافر إلى سورية لمفاوضة تيمورلنك وتوفي في القاهرة ، يعد أول من أسس علم الاجتماع وله آراء تربوية قيمة في مقدمته.

الخلاف ووجهه إلى أن ينتهي إلى آخر الفن فتجود ملكته ثم يرجع به وقد شد فلا يترك عويصاً ولا مهماً ولا مغلقاً إلا وضحه وفتح له مقفله فيخلص من الفن وقد استولى على ملكته. هذا وجه التعليم المفيد[١]

ويرى أن طريقة الاختصارات المؤلفة في العلوم مخلة بالتعليم: ويبين انه حصل ذلك في الكتب الامهات المطولة في الفقة والعربية والمنطق وهذا فساد في التعليم وفيه اخلال بالتحصيل وذلك لأن فيه تخليطاً على المبتدىء بإلقاء الغايات من العلم عليه وهو لم يستعد لقبولها بعد وهو من سوء التعليم، ففيه شغل كبير على المتعلم بتتبع ألفاظ الاختصار العويصة للفهم بتزاحم المعاني عليها وصعوبة استخراج المسائل من بينها، لأن ألفاظ المختصرات تجدها لأجل ذلك صعبة عويصة.. ثم إن الملكة الحاصلة من التعلم في تلك المختصرات إذا تمّ على سداده ولم تعقبه آفة فهي ملكة قاصرة عن الملكات التي تحصل من الموضوعات البسيطة المطولة بكثرة ما يقع في تلك من التكرار والأصالة المفيدة للحصول على الملكة التامة... قصدوا إلى تسهيل الحفظ على المتكلمين فأركبوهم صعباً يقطعهم عن تحصيل الملكات النافعة وتمكنها[٢].

٢ - مراعاة ميول الطفل في تعليمه

اهتم المربون المسلمون بمراعاة ميول الطفل في تعليمه لينبغ في ذلك ويحقق أفضل ما يمكن تحقيقه لنفسه وأمته، وقد أشار ابن سينا إلى ذلك فقال: «فإذا فرغ الصبي من تعلم القرآن وحفظ أصول اللغة، نظر عنه ذلك إلى ما يراد أن تكون صناعته، فوجّه لطريقه، فإذا أراد مدبره به الكتابة أضاف إلى دراسة اللغة دراسة الرسائل والخطب ومفاضلات

(١) ابن خلدون ـ المقدمة ـ من مختارات محمد ناصر ـ الفكر التربوي ج ٢ ص ٤٧٣ ـ ٤٧٤ مرجع سابق

(٢) ابن خلدون ـ المقدمة ـ الفكر التربوي ج ٢ ص ٤٧٢ ـ ٧٣ مرجع سابق.

الناس ومحاوراتهم وما أشبه ذلك، وطورح الحساب ودخل به إلى الديوان، وعني بخطه وإن أريد أخرى أخذ به فيها، بعد أن يعلم مدبر الصبي أن ليس كل صناعة يرومها الصبي ممكنة له مؤاتية، لكن ما شاكل طبعه وناسبه، وإنه لو كانت الآداب والصناعات تجيب وتنقاد بالطلب والمرام دون المشاكلة والملاءمة إذن ما كان أحد غملاً من الأدب وعارياً من صناعة، وإذن لأجمع الناس كلهم على اختيار أشرف الآداب وأرفع الصناعات»، ويستمر ابن سينا في تفصيل هذه الناحية ويضرب أمثلة على ذلك منها: إن الأدب مثلاً سهل على قوم وصعب على آخرين، وان إنساناً يختار دراسة الحساب وآخر يختار علم الهندسة وآخر يختار علم الطب، وربما وجدت إنساناً يكره جميع الآداب والصنائع فلم يتعلق بشيء منها على الرغم من اهتمام أهلهم وإنفاقهم الأموال الطائلة على أولئك الأبناء في سبيل تعليمهم وتأديبهم «فلذلك ينبغي لمؤدب الصبي إذا رام اختيار الصناعة أن يزن أولاً طبع الصبي، ويسبر قريحته ويختبر ذكاءه فيختار له إحدى الصناعات بحسب ذلك، فإذا اختار له إحدى الصناعات تعرّف قدر ميله إليها، ورغبته فيها، ونظر هل جرت منه على عرفان أم لا، وهل أدواته وآلاته مساعدة له عليها أم خاذلة، ثم يبت العزم، فإن ذلك أحزم في التدبير وأبعد من أن تذهب أيام الصبي فيما لا يؤتيه ضياعاً»[1].

وأرى ان للبحث في أهلية الولد للنبوغ والتفوق في علم من العلوم أو صناعة من الصناعات صلة بواجب الكفاية في الفقه وقد فصل البحث في هذه الناحية أبو إسحاق الشاطبي في كتابه الموافقات، فبين أن طلب الكفاية يقول العلماء بالأصول إنه متوجب على الجميع، لكن إذا قام به

---

(١) ابن سينا ـ السياسة ـ مختارات د. محمد ناصر ـ الفكر التربوي ج ٢ ص ٢٤٣ وكالة المطبوعات ـ الكويت ١٩٧٧.

بعضهم سقط عن الباقين وما قالوه صحيح من جهةِ كليّ الطلب، وأما من جهة جزئيّهِ ففيه تفصيل وينقسم أقساماً وربما تشعب تشعباً طويلاً، ويمكن تلخيص ذلك في الأقسام الآتية[1]:

١ ـ النصوص الدالة على ذلك كقوله تعالى: ﴿وما كان المؤمنون لينفروا كافة. . . ﴾[2].

٢ ـ ما يثبت من القواعد الشرعية القطعية من هذا المعنى كالإمامة الكبرى والصغرى، فإنها إنما تتعين على من فيه أوصافها المرعية لا على كل الناس. وسائر الولايات بتلك المنزلة إنما يطلب بها شرعاً ممن كان أهلاً للقيام بها والغناء فيها. .

٣ ـ ما وقع من فتاوى العلماء وما وقع أيضاً في الشريعة من هذا المعنى، فمن ذلك قول النبي ﷺ لأبي ذر: «يا أبا ذر إني أراك ضعيفاً، وإني أحب لك ما أحب لنفسي لا تأمرنّ على إثنين ولا تولينّ مال يتيم». وكلا الأمرين من فروض الكفاية ومع ذلك فقد نهاه النبي ﷺ عنهما.

ويقول الشاطبي بعد ذلك: «وعلى هذا المعنى جرى العلماء في تقرير كثير من فروض الكفايات، فقد جاء عن مالك انه سئل عن طلب العلم أفرض هو؟ فقال: أما على كل الناس فلا، يعني الزائد على الفرض العيني. وقال أيضاً: أما من كان فيه موضع للإمامة فالاجتهاد في طلب العلم عليه واجب والأخذ في العناية بالعلم على قدر النية فيه. . . وقال ابن سحنون: من كان أهلاً للإمامة وتقليد العلوم ففرض عليه أن يطلبها، بقوله تعالى: ﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير. . . ﴾[3] ومن لا يعرف المعروف كيف يأمر به أو لا يعرف المنكر كيف ينهي عنه؟».

(١) الشاطبي ـ الموافقات ج ١ ص ١٧٦ دار المعرفة ط ٢ ١٣٩٥ هـ ١٩٧٥ م.
(٢) التوبة: ١٢٢.
(٣) آل عمران ١٠٤.

ويفصل الموضوع أكثر من ذلك فأشار إلى أن الله جل جلاله عندما خلق الخلق لم يكونوا عارفين بوجوه مصالحهم لا في الدنيا ولا في الآخرة ويؤيد ذلك قوله تعالى: ﴿ والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً ﴾[١]. ثم أرشدهم إلى العلم ووفقهم إلى تحصيله على التدريج والتربية، تارة بالإلهام ـ كما يلهم الطفل التقام الثدي ومصه ـ وتارة بالتعلم والتعليم، وإن كل إنسان يبرع ويتقدم في أمور فطره الله تعالى عليها، فهذا قد تهيأ لطلب العلم وآخر لطلب الرياضة وآخر للتصنع ببعض المهن المحتاج إليها وآخر للصراع والنطاح، ولذلك وجب على المهتمين بأمور التربية الالتفات إلى تلك الجهات «فيراعونها بحسبها إلى أن تخرج في أيديهم على الصراط المستقيم ويعينونهم على القيام بها ويحرضونهم على الدوام فيها حتى يبرز كل واحد فيما غلب عليه ومال إليه، من تلك الخطط، ثم يخلى بينهم وبين أهلها فيعاملونهم بما يليق بهم ليكونوا من أهلها فإذا صارت لهم كالأوصاف الفطرية والمدركات الضرورية فعند ذلك يحصل الانتفاع وتظهر نتيجة تلك التربية»[٢].

ويتابع شرحه لهذه الفكرة فيقول: إنه إذا فرض ان أحد الصبيان ظهر عليه حسن إدراك وجودة فهم ووفور حفظ لما يسمع، يوجه نحو ذلك القصد وهذا واجب على المربي مراعاة لما يرجى من الخير ومراعاة للقيام بمصلحة التعليم، ويضرب أمثلة على ذلك في طلب الفقه والحديث والتفسير، إلى أن يقول:

«وبذلك يتربى لكل فعل هو فرضُ كفايةٍ قومٌ، لأنه سير أولاً في طريق مشترك فحيث وقف السائر وعجز عن السير فقد وقف في مرتبة

---

(١) النحل: ٧٨.

(٢) الشاطبي ـ الموافقات ج ١ ص ١٨٠ مصدر سابق.

محتاج إليها في الجملة، وإن كان به قوة زاد في السير إلى أن يصل إلى أقصى الغايات في المفروضات الكفائية، وفي التي يندر من يصل إليها كالاجتهاد في الشريعة والإمارة، فبذلك تستقيم أحوال الدنيا وأعمال الآخرة»[١].

ويرى برهان الدين الزرنوجي أنه ينبغي لطالب العلم ألّا يختار نوع علم بنفسه بل يفوض أمره إلى أستاذه، فإن الأستاذ قد حصل له التجارب في ذلك، فكان أعرف بما ينبغي لكل أحد وما يليق بطبيعته ويذكر في هذا المجال أن الإمام البخاري كان قد بدأ بكتاب الصلاة على محمد بن الحسن، فقال له محمد رحمه الله تعالى اذهب وتعلم علم الحديث، لما رأى أن ذلك العلم أليق بطبعه، فطلب الحديث فصار فيه مقدماً على جميع أئمة الحديث[٢].

ومن مظاهر مراعاة الفروق الفردية في التعليم ما ذكره ابن جماعة الكناني في كتابه «تذكرة السامع والمتكلم»، حيث قال:

«إذا سلك الطالب في التحصيل فوق ما يقتضيه حاله أو تحمله طاقته وفاق الشيخ ضجره أوصاه بالرفق في نفسه وذكره بقول النبي ﷺ:

«إن المنبت لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى» ونحو ذلك مما يحمله على الأناة والاقتصاد في الاجتهاد، وكذلك إذا ظهر له من نوع سآمة أو ضجر أو مبادىء ذلك أمره بالراحة وتخفيف الاشتغال، ولا يشير الطالب بتعلم ما لا يحتمله فهمه أو سنه ولا بكتاب يقصر ذهنه عن فهمه. فإن استشار الشيخ من لا يعرف حاله في الفهم والحفظ في قراءة فن أو كتاب لم يشر عليه بشيء حتى يجرب ذهنه ويعلم حاله فإن لم يحتمل

(١) المصدر السابق ص ١٨.
(٢) الفكر التربوي ج٢ ص ٣٥٨ مصدر سابق.

الحال التأخير أشار عليه بكتاب سهل من الفن المطلوب. فإن رأى ذهنه قابلاً وفهمه جيداً نقله إلى كتاب يليق بذهنه، وإلا تركه وذلك لأن نقل الطالب إلى ما يدل نقله إليه على جودة ذهنه يزيد انبساطه وإلى ما يدل على قصوره يقلل نشاطه. . . وإذا علم أو غلب على ظنه إنه لا يفلح في فن أشار عليه بتركه والانتقال إلى ما يرجى فيه فلاحه»(١).

٣ - معالجة مشكلات التلاميذ

قال ابن سحنون:

«سئل سحنون عن المعلم أيؤاخذ الصبيان لقول بعضهم على بعض في الأذى؟ فقال ما أرى هذا من ناحية الحكم، وإنما على المؤدب أن يؤدبهم إذا آذى بعضهم بعضاً، وذلك عندي إذا استفاض علم الأذى من الجماعة منهم، أو كان الاعتراف، إلا أن يكون صبياناً قد عرفهم بالصدق فيقبل قولهم ويعاقب على ذلك ولا يجوز في الأدب كما أعلمتك، ويأمرهم بالكف عن الأذى، ويرد ما أخذ بعضهم لبعض، وليس هو من ناحية القضاء»(٢).

وقد أشار القابسي إلى ذلك وأيد ابن سحنون فيما ذهب إليه، ويوصي المعلم بمراقبة الصبيان لئلا يعتدي بعضهم على بعض إذا كان فيهم من يخشى فساده يناهز الاحتلام أو يكون له جرأة(٣).

ومن واجبات المعلم في رأي القابسي أن يتعاهد تلاميذه ويتحفظ منهم وينهاهم عن الربا، ويعلم آباءهم بما يصدر عنهم من ذلك أي إذا تبايعوا بالربا في الكتاب ويعرفهم وجه الربا فيما صنعوا على ذلك، ويذكر التلميذ الذي فعل ذلك ويقبّح عمله ويتواعده بشدة العقوبة عليه

(١) محمد ناصر ـ الفكر التربوي ص ٣٩٩ مرجع سابق .
(٢) ابن سحنون ـ آداب المعلمين ص ١١٧ مرجع سابق.
(٣) القابسي ـ «الرسالة المفصلة» ص ٣١٧ مرجع سابق.

إن هو عاوده ليتدرج على مجانبة الخطأ، وإذا أحسن التلميـذ يغبطه بإحسانه في غير انبساط إليه ولا منافرة له ليعرف وجه الحسن من القبح فيتدرج على اختيار الحسن.

وقد بحث ابن جماعة الكناني في كتابه «تذكرة السامع والمتكلم» في معالجة بعض المشكلات أثناء التدريس وبين طرق معالجتها، وذلك فيما يتعلق بآداب الطلبة وهديهم وأخلاقهم باطناً وظاهراً، فيرى أن من صدر منه ما لا يليق من ارتكاب محرم أو مكروه أو ما يؤدي إلى فساد حال أو ترك اشتغال بالدرس، أو إساءة أدب في حق المعلم أو غيره، أو كثرة كلام بغير توجيه ولا فائدة، أو حرص على كثرة الكلام، أو معاشرة من لا تليق عشرته، أو غير ذلك. . فبين ابن جماعة أن المعلم ينهى عن ذلك بحضور من صدر منه الفعل غير معرّضٍ به ولا معين له، فإن لم ينته نهاه عن ذلك سراً، ويكتفي بالإشارة مع من يكتفي بها، فإن لم ينته نهاه عن ذلك جهراً ويغلظ القول عليه إن اقتضاه الحال لينزجر هو وغيره ويتأدب به كل سامع فإن لم ينته فلا بأس حينئذٍ بطرده والإعراض عنه إلى أن يرجع، ولا سيما إذا خاف على بعض رفقائه وأصحابه من الطلبة موافقته على شذوذه وإساءته، وذلك بتقليده والاقتداء به إذا لم يفصل من المدرسة[١].

ومن أهم الموضوعات التي تتعلق بمشكلات التعليم ما يلي.

أ ـ الإجازات والتغيب عن المدرسة

يرى ابن سحنون أن إجازة الطلاب تكون كما يلي[٢]:

---

(١) ابن جماعة الكناني ـ تذكرة السامع والمتكلم ـ الفكر التربوي ـ محمد ناصر ج ٢ ص ٤٠٠ مرجع سابق.

(٢) محمد بن سحنون ـ آداب المعلمين ـ نشر محمد العروسي المطوي ص ٩٧ الشركة التونسية لفنون الرسم ١٩٧٢ م.

ثلاثة أيام في عيد الفطر ولا بأس أن تكون خمسة في عيد الأضحى كذلك. ويخبر المعلم أولياء الصبيان عند تغيبهم في غير وقت الإجازة. لا يجوز للمعلم أن يرسل الصبيان في حوائجه، لأن انقطاعهم عن الدراسة يضرّ بهم، ومن الناحية الشرعية كذلك عمل غير جائز لأن المعلم يأخذ أجراً من الطلاب على تعليمهم، فكيف يأخذ ذلك الأجر وهو قد حرمهم من ذلك واستغل الوقت الذي هو ملك الصبي في منفعته الخاصة.

وقد نقل القابسي عن ابن سحنون فقال «واما بطالة الصبيان يوم الجمعة فقال سحنون: يأذن في يوم الجمعة وذلك سنّة المعلمين، لم يُعب ذلك عليهم.. وأما تخلية الصبيان يوم الخميس من العصر فهو أيضاً يجري عرف الناس، ان كان قد عرف ذلك من شأن المعلمين، فهو كما عرف من شأنهم يوم الجمعة، فأما بطالتهم يوم الخميس كله فهذا بعيد، إنما دراسة الصبيان أحزابهم وعرضهم اياها على معلميهم في عشي يوم الأربعاء وغدو يوم الخميس إلى وقت الكتابة، والتخاير إلى قبل انقلابهم نصف النهار، ثم يعودون بعد صلاة الظهر إلى الكتاب، والخيار إلى صلاة العصر، ثم ينصرفون إلى يوم السبت يبكرون فيه إلى معلميهم، وهذا حسن نافع رفيق بالصبيان وبالمعلمين لا شطط فيه»[1].

أما اجازات التلاميذ في الأعياد فقد نقل القابسي عن ابن سحنون أنها تكون يوماً واحداً في عيد الفطر ولا بأس أن تكون ثلاثة أيام، يوماً قبل العيد ويوم العيد ويوم ثانيه، وخمسة أيام في الأضحى، يوم قبل النحر وثلاثة أيام النحر والخامس آخر أيام التشريق ثم يعودون إلى معلميهم في اليوم الخامس من أيام النحر.

(١) القابسي ـ الرسالة المفصلة ص ٩٨.

وقد جرت العادة كذلك أن يعطى التلاميذ اجازة عندما يختم أحدهم القرآن، وقد ذكر ذلك القابسي عن ابن سحنون فقال: «وأما بطالة الصبيان من أجل الختم، فقيل لسحنون أيضاً أترى للمعلم في اذنه للصبيان اليوم ونحوه، قال: ما زال ذلك من عمل الناس مثل اليوم وبعضه، ولا يجوز له أن يأذن لهم أكثر من ذلك الا بإذن آبائهم كلهم لأنه أجير لهم»(١).

* * *

ب ـ استعانة المعلم بالعريف في إدارة الصبيان وتعليمهم

قال ابن سحنون: «ولا يجعل للصبيان عريفاً منهم إلّا أن يكون الصبي الذي قد ختم وعرف القرآن وهو مستغن عن التعليم فلا بأس بذلك وان يعينه فإن ذلك منفعة للصبي في تخريجه أو يأذن والده في ذلك.

وسئل مالك عن المعلم يجعل للصبيان عريفاً فقال إن كان مثله في نفاذه فقد سهل في ذلك إذا كان للصبي في ذلك منفعة.

ويقول ابن جماعة الكناني «وينبغي أن يكون للمعلم نقيب فطن كيّس درب، يرقب الحاضرين ومن يدخل عليهم قدر منازلهم، ويوقظ النائم ويشير إلى من ترك ما ينبغي فعله أو فعل ما ينبغي تركه، ويأمر بسماع الدروس والانصات لها»(٢).

جـ ـ الثواب والعقاب

تعتمد تربية الطفل ـ حسب النصوص الإسلامية ـ على الرفق به

---

(١) المصدر السابق ـ ص ٣٢٥ ـ مرجع سابق.

(٢) تذكرة السامع والمتكلم ـ مختارات محمد ناصر ـ الفكر التربوي ج ٢ ص ٣٩٢ وكالة المطبوعات بالكويت ١٩٧٧.

ورحمته، واستعمال الشدة والضرب عند الضرورة، وقد بحث في هذا الموضوع كثير من المربين المسلمين، من أقدمهم ابن سحنون في كتابه «آداب المعلمين» فقد وضع عنواناً لهذا البحث في كتابه هو: «ما جاء في الأدب وما يجوز وما لا يجوز»، قال فيه: «وحدثنا عن عبد الرحمن، عن عبيد بن اسحاق، عن سيف بن محمد قال: كنت جالساً عند سعد الخفّاف فجاءه ابنه يبكي. فقال: يا بني ما يبكيك؟ قال: ضربني المعلم. قال: أما والله لأحدثنكم اليوم: حدثني عكرمة عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «شرار أمتي معلمو صبيانهم أقلهم رحمة لليتيم وأغلظهم على المسكين». قال محمد: (أي ابن سحنون) وإنما ذلك لأنه يضربهم إذا غضب وليس على منافعهم. ولا بأس أن يضربهم على منافعهم ولا يجاوز بالأدب ثلاثاً، إلّا أن يأذن الأب في أكثر من ذلك إذا آذى أحداً. ويؤدبهم على اللعب والبطالة ولا يجاوز بالأدب عشرة. وأما على قراءة القرآن فلا يجاوز أدبه ثلاثاً. قلت لم وقّت عشرة في أكثر الأدب في غير القرآن وفي القرآن ثلاثة، فقال لأن عشرة غاية الأدب. وكذلك سمعت مالكاً يقول: وقد قال رسول الله ﷺ: «لا يضرب أحدكم أكثر من عشرة أسواط إلا في حد»[1] قال محمد: وحدثنا يعقوب بن حُميد عن وكيع عن هشام بن أبي عبد الله عن يحيى بن أبي كثير عن المهاجر بن عكرمة عن عبد الله بن أبي بكر أن النبي ﷺ قال: «لا يحل لرجل يؤمن بالله واليوم الآخر أن يضرب قومه عشرة أسواط إلا في حد» وحدثنا رباح بن ثابت عن عبد الرحمن بن زياد عن أبي عبد الرحمن الحُبُلي، قال بلغني أن رسول الله ﷺ «أدب الصبي ثلاث درر فما زاد

---

(١) روى هذا الحديث البخاري ومسلم وأحمد والبيهقي من طريق أبي بردة هانىء بن نيّار الانصاري (هامش آداب المعلمين) محمد العروسي المطوي ص ٩٠ مرجع سابق.

عليه قوصص به يوم القيامة» وقال النبي ﷺ: «يؤدب الرجل ولده خير من أن يتصدق»[1].

وقد قال بعض أهل العلم: «ان الأدب على قدر الذنب وربما جاوز الأدب الحد. منهم سعيد بن المسيّب وغيره»[2]. وابن سحنون[3] لا يرى أن يولي أحداً من الصبيان الضرب وقد أيده القابسي في هذا فقال «فقد أحب سحنون ألاّ يولي أحداً من الصبيان الضرب.. ونعم ما أحب سحنون من ذلك من قبل ان الصبيان تجري بينهم الحمية والمنازعة فقد يتجاوز الصبي المطيع فيما يؤلم المضروب، فإن أمن المعلم أن المتولي للضرب لا يتجاوز فيه، وسعه ذلك اذا كان له عذر فيها تخلفه عن ولاية ذلك بنفسه»[4]. وقال ابن سحنون أيضاً: «واذا أدب المعلم الصبي الذي يجوز له فأخطأ ففقأ عينه، أو أصابه فقتله كانت على المعلم الكفارة في القتل، والدية على العاقلة إذا جاوز الأدب، وإذا لم يجاوز الأدب وفعل ما يجوز له فلا دية عليه، وإنما يضمن العاقلة من ذلك ما يبلغ الثلث، وما لم يبلغ الثلث ففي ماله»، ويتابع ابن سحنون شرحه لهذه المسألة فيقول: «واذا ضرب المعلم الصبي بما يجوز له أن يضربه إذا كان مثله يقوى على مثل ذلك فمات أو أصابه بلاء، لم يكن على المعلم شيء غير الكفارة إن مات، وإن جاوز الأدب ضمن الدية في ماله

---

(١) رواه الترمذي عن جابر بن سمرة بزيادة (لئن يؤدب) في أوله ـ هامش (آداب المعلمين) ص ٩٣ مرجع سابق.

(٢) ابن سحنون ـ (آداب المعلمين) ص ٩٢ ـ ٩٤ مرجع سابق.

(٣) هو أبو عبد الله محمد بن عبد السلام سحنون بن سعيد بن حبيب التنوخي القيرواني. ولد في القيروان عام ٢٠٢ هـ ٨١٩ م وتوفي في منطقة الساحل عام ٢٥٦ هـ ٨٧٠ م. كان فقيهاً وعالماً ومؤرخاً، ألف كتابه (آداب المعلمين) وحاز على شهرة واسعة بين المشتغلين بالتعليم لأنه يُعَدُّ من أقدم الكتب في التربية والتعليم، وكان اعتماده على القرآن والحديث وعلى ما اثر عن الصحابة والعلماء. ونظراً لأهمية هذا الكتاب فقد ترجم إلى اللغة الفرنسية.

(٤) الرسالة المفصلة.. (القابسي) ص ٣١٢ مرجع سابق.

مع الأدب، وقد قيل على العاقلة مع الكفارة. فإن جاوز الأدب فمرض الصبي من ذلك فمات، فإن كان جاوز ما يعلم أنه أراد به القتل أقسموا وقتله به الأولياء، وإن كان لم يجاوز ما يُرى أنه أراد به القتل إلا على وجه الأدب، إلا أنه جهل الأدب، أقسم واستحقوا الدية قبل العاقلة، وعليه هو الكفارة، فإن كان المعلم لم يل الفعل وإنما وليه غيره كان الأمر على ما فسرت لك، ولا شيء على المأمور، وإن كان بالغاً، فمن أصحابنا من رأى الدية على عاقلة وعليه الكفارة، ومنهم من رأى الدية على عاقلة المعلم وعلى الفاعل الكفارة والله أعلم».

وقال وسئل مالك عن معلم ضرب صبياً ففقأ عينه أو كسر يده، فقال: «ان ضرب بالدرة على الأدب واصابه بعودها فكسر يده أو فقأ عينه فالدية على العاقلة اذا عمل ما يجوز له، فإن مات الصبي فالدية على العاقلة بقسامة وعليه الكفارة، وان ضربه باللوح أو بعصا فقتله فعليه القصاص لأنه لم يؤذن له أن يضربه بعصا ولا بلوح»[1].

وقد بحث القابسي في رسالته عن التعليم في موضوع ضرب التلميذ وذكر أنه اذا استحق الضرب فمن واحدة الى ثلاث، والأعمال التي يستحق الولد الضرب عليها: تثاقله عن الإقبال الى المعلم وتباطأ في حفظه، أو كثر الخطأ في قراءة درسه، أو كتابة لوحه، أو سوء خطه، على أن يسبق ذلك تنبيهٌ مرة بعد مرة.

ومن صور العقاب التي أشار إليها القابسي أيضاً التقريع بالكلام من غير شتم ولا سبّ لعرضٍ، كقول من لا يعرف لأطفال المؤمنين حقاً

---

(١) ابن سحنون ـ آداب المعلمين ـ ص ١٣٢ ـ ١٣٦ مرجع سابق.

فيقول: يا مسخ، يا قرد، فلا يفعل هذا ولا ما كان مثله في القبح، وينبه القابسي من يصدر عنه مثل هذا التصرف فيقول: «فإن قلت له واحدة فلتستغفر الله منها ولتنته عن معاودتها. وإنما تجري الألفاظ القبيحة من لسان التقي تمكن الغضب من نفسه، وليس هذا مكان الغضب. وقد نهى رسول الله ﷺ أن يقضي القاضي وهو غضبان. . قال أبو الحسن: لذا لمعلم الصبيان أن يراعي منهم حتى يخلص أدبهم لمنافعهم، وليس لمعلمهم في ذلك شفاء من غضبه[١]».

ويتابع القابسي حديثه في هذا الموضوع ويقرر مبدأ تعاون المدرسة مع البيت في معالجة مشكلات التلميذ، هذا المبدأ الذي يعد من أهم مبادىء التربية الحديثة، ويبين الحالات التي يعاقب فيها التلميذ بالضرب فوق ثلاث لما بين صفة الضرب. فيقول: «فإن اكتسب الصبي جرماً من أذى، ولعب، وهروب من الكتاب وإدمان البطالة فينبغي للمعلم أن يستشير أباه أو وصيه ان كان يتيماً ويعلمه بجرمه اذا كان يستأهل من الأدب فوق الثلاث، فتكون الزيادة على ما يوجبه التقصير في التعليم عن اذن من القائم بأمر هذا الصبي ثم يزاد على الثلاث ما بينه وبين العشر اذا كان الصبي يطيق ذلك. وصفة الضرب هو ما يؤلم ولا يتعدى الألم إلى التأثير المشنع أو الوهن المضر. .»[٢] ويوصي القابسي المعلم بأن يتجنب ضرب رأس الصبي أو وجهه، وان الضرب في الرجلين آمن وأحمل للألم في سلامة.

ويتعرض ابن خلدون في مقدمته إلى موضوع الشدة في التعليم فيتحدث عن ذلك تحت عنوان:

---

(١) المصدر السابق ص: ٣١٤.

(٢) المصدر السابق ص: ٣١٤.

«في ان الشدة على المتعلمين مضرة بهم» ويرى أن هذا الأسلوب مضر بالمتعلم لا سيما اذا كان صغيراً ويرى ان من كان مرباه بالعسف والقهر من المتعلمين أو المماليك أو الخدم سطا به القهر وضيق على النفس في انبساطها وذهب بنشاطها ودعاه إلى الكسل **وحمل على الكذب والخبث وهو التظاهر بغير ما في ضميره خوفاً من انبساط** الأيدي بالقهر عليه، وعلمه المكر والخديعة وصارت له هذه عادة وخلقاً **وفسدت معاني الانسانية** التي له من حيث الاجتماع والتمدن وهي الحمية والمدافعة عن نفسه ومنزله، وكسلت النفس عن **اكتساب الفضائل والخلق الجميل فانقبضت عن غايتها ومدى انسانيتها فارتكس وعاد في أسفل السافلين.**

أرى أن ابن خلدون بوصفه هذا الحال لمن ربي على القهر والشدة من الأطفال قد سبق علماء التحليل النفسي في العصر الحديث الذين أرجعوا نشوء العقد النفسية والأمراض النفسية تبعاً لذلك إلى سوء معاملة المربين من أهل ومعلمين، ومنشأ ذلك كله الكبت الذي يحصل في النفس بسبب القهر والشدة في المعاملة، إن ابن خلدون يفرض أن نفس الطفل في طبيعتها نفس إنسانية مشرقة منبسطة ذات نشاط وفعالية، تنزع الى الحجة والتمدن والخلق الجميل، فتفقد هذه الخصائص الممتازة والصفات الفطرية الطيبة وتنقبض عن غايتها وانسانيتها وترتكس في أسفل سافلين، فما أروع هذا التعبير وما أدق هذا الفهم لحالة الطفل الذي استولت عليه الوساوس والأوهام وشوهت صفاء نفسه العقد النفسية الناشئة عن الكبت بسبب القهر والشدة في معاملته.

ثم يعمم ما يصيب الأفراد على الأمم فيقول:

«وهكذا وقعت لكل أمة حصلت في قبضة القهر ونال منها العسف

واعتبره في كل من يملك أمره عليه، ولا تكون الملكة العاقلة له رفيقة به ونجد ذلك فيهم استقراء ونظرةً في اليهود وما حصل بذلك فيهم من خلق السوء حتى أنهم يوصفون في كل أفق وعصر بالحرج ومعناه في الاصطلاح المشهور التخابث والكيد وسببه ما قلناه»[١]

ثم يعود إلى بيان رأيه في معاملة المعلم لتلميذه فيقول:

«فينبغي للمعلم في متعلمه والوالد في ولده الّا يستبرىء عليهما في التأديب. وقد قال محمد بن أبي زيد في كتابه الذي ألفه في حكم المعلمين والمتعلمين: لا ينبغي لمؤدب الصبيان أن يزيد في ضربهم اذا احتاجوا اليه على ثلاثة أسواط شيئاً. ومن كلام عمر رضي الله عنه: من لم يؤدبه الشرع لا أدبه الله حرصاً على صون النفوس عن مذلة التأديب، وعلماً بأن المقدار الذي عينه الشرع لذلك أملك له فإنه أعلم بمصلحته»[٢].

ثم يعرض صورة مثالية من صور التعليم كما يراها تتوافر فيها الشروط التي يؤمن بها من حيث التزام أوامر الشرع وتحقيق الرفق بالمتعلم فيقول:

«ومن أحسن مذاهب التعليم ما تقدم به الرشيد لمعلم ولده محمد الأمين فقال: يا أحمر إن أمير المؤمنين قد دفع إليك مهجة نفسه وثمرة قلبه فصيّر يدك عليه مبسوطة وطاعته لك واجبة وكن له بحيث وضعك أمير المؤمنين، أقرئه القرآن وعرفه الأخبار وروّه الأشعار وعلمه السنن وبصره بمواقع الكلام وبدئه وامنعه من الضحك إلا في أوقاته، وخذه بتعظيم مشايخ بني هاشم اذا دخلوا عليه ورفع مجالس القواد اذا حضروا مجلسه

(١) ابن خلدون ـ المقدمة ـ مختارات محمد ناصر الفكر التربوي ج ٢ ص ٤٨١ مرجع سابق.
(٢) المرجع السابق ص ٤٨٢.

ولا تمرّنّ بك ساعة الا وأنت مغتنم فائدة تفيده اياها من غير ان تُحزنه فتميت ذهنه، ولا تمعن في مسامحته فيستحلي الفراغ ويألفه، وقوّمه ما استطعت بالضرب والملاينة فإن أباهما فعليك بالشدة والغلظة»[١].

٣ ـ التعليم المختلط وتعليم البنات

ابن سحنون:

قال سحنون: «وأكره للمعلم أن يعلم الجواري ويخلطهن مع الغلمان لأن ذلك فساد لهم»[٢].

ويرى القابسي كذلك في كتابه «الرسالة المفصلة» الرأي نفسه ويشير إلى ما ذكره ابن سحنون[٣].

وكان المتعلمون وأصحاب الجاه والسلطان يعلمون بناتهم أيضاً، فهذا القاضي الورع عيسى بن مسكين المتوفى سنة ٢٧٥ هـ يقرىء بناته وحفيداته. قال عياض: وكان من سيرة عيسى بن مسكين في غير مدة قضائه أنه كان إذا أصبح قرأ حزباً من القرآن، ثم جلس للطلبة إلى العصر، فاذا كان بعد العصر دعا بنتيه وبنات أخيه يعلمهن القرآن والعلم؟[٤].

وكان قبله أسد بن الفرات فاتح صقلية يعلم ابنته أسماء التي نالت من العلم درجة كبيرة، وكذلك كان سحنون يعلم ابنته خديجة أخت مؤلف كتاب «آداب المعلمين».

(١) المرجع السابق ص ٤٨٢.
(٢) ابن سحنون ـ آداب المعلمين ص ١١٠ مرجع سابق.
(٣) القابسي ـ الرسالة المفصلة ص ٣١٤ مرجع سابق.
(٤) محمد العروسي المطوي ـ آداب المعلمين لابن سحنون ص ٣٨ عن مخطوطة ترتيب المدارك للقاضي عياض (بمكتبته).

ومن الكاتبات المتعلمات الحافظة الكاتبة «فضل» مولاة أبي العرب أحمد بن محمد، فقد كتبت مصحفاً بخطها الجميل سـنة ٢٩٥ هـ ورقوقه محفوظة بمكتبة جامع عقبة بن نافع بـالقيروان، وهـو مكتوب بالخط الكوفي الجميل، وعلى الورقة الأولى كتبت الكاتبة ما يلي:

«بسم الله الرحمن الرحيم. هذا ما حبست فضل مولاة أبي أيوب أحمد بن محمد رحمه الله طلباً لثواب الله والدار الآخرة. رحم الله من قرأ فيها (أي الختمة) ودعا لصاحبتها. وكتبت فضل في المحرم سنة خمس وتسعين ومائتين».

٤ - إلزامية التعليم

يقول القابسي[1]: «واما سؤالك عن رجل امتنع أن يجعل ولده في الكتاب هل للإمام أن يجبره؟ وهل الذكر والأنثى في ذلك سواء؟ فإن قلت لا يجبره فهل يوعظ ويؤثّم. وكيف ان لم يكن له والد وله وصي، فهل يلزم ذلك بالجبر؟ فإن لم يكن له وصي فهل ذلك للولي أو للامام؟ فإن كان لا أحد لهذا الولد فهل للمسلمين أن يفعلوا ذلك من ماله؟ فإن لم يكن له مال فهل على المسلمين أن يؤدوا عنه، أو يكون في الكتاب ولا يكلفه المعلم اجارة؟ وكيف ان كان له أب وله مال ولا يبالي ذلك، فهل للإمام أن يسجنه أو يضربه على ذلك أم ليس ذلك عليه؟ وكيف ان كـان هذا في بلد لا سلطان يكـرههم على الواجبـات وينهـاهم عن المنكرات، فهل يبيح لجماعة من المسلمين المرضين دينهم أن يقوموا مقام السلطان، أم ليس يجوز ذلك؟».

(١) هو فقيه وعالم ومحدث اسمه أبو الحسن علي بن خلف القابسي ولد عام ٣٢٤ هـ ٩٣٥ م في القيروان، سافر إلى المشرق وأقام بمصر فترة من الزمن وحج وعاد إلى القيروان، وله كتب كثيرة من أهمها رسالة في التربية والتعليم سماها (الرسالة المفصلة لأحوال المتعلمين والمعلمين)، وقد حقق هذه الرسالة ونشرها الدكتور أحمد فؤاد الاهواني في كتابه التربية في الاسلام عام ١٩٦٨ م.

وينهي القابسي الجزء الأول من كتابه «الرسالة المفصلة لأحوال المتعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين»، ويفتتح الجزء الثاني بقوله: «قال أبو الحسن: إن الذي قدمت مما يرجى للوالـد في تعليم ولده القرآن إنما هو على وجه الترغيب للوالد في تعليم ولده الطفل الذي لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً الذي تجب عليه نفقته لمعيشته. فما زاد بـعد ذلك الواجب فهو احسان من الوالد للولد».

يتبين من هذا النص أن تعليم الولد ليس واجباً على الوالد وانما هو من قبيل الاحسان ومن ناحية ثانية يستفاد من الأقوال السابقة أن المسؤول عن التعليم هو الأب أم من يقوم مقامه وليست الدولة فهو الذي يتحمل النفقات، وان على الحاكم ملاحقة الآباء من أجل تعليم أبنائهم. .

والتعليم الواجب على الأب نحو ولده يبينه القابسي في قوله الآتي: «وقد[1] مضى أمر المسلمين انهم يعلمون أولادهم القرآن ويأتونهم بالمعلمين ويجتهدون في ذلك، وهذا مما لا يمتنع منه والد لولده وهو يجد اليه سبيلاً الا مداركة شح نفسه فذلك لا حجة له»، ثم يتابع بعد ذلك قوله: «فما يدع الرغبة في تعليم أهله وولده الخير شحاً على الانفاق أو تهاوناً به بفقدهم ذلك الخير إلا جاف أو بخيل». ويتحدث القابسي بعد ذلك عن الظروف المختلفة التي تواجه الولد والصعوبات التي يلقاها في حياته فيما يتعلق بتوفير التعليم له، وذلك ان كان يتيمـا وواجب الوصي عليه في تعليمه والإنفاق عليه من مال اليتيم إن كان ذا مال أو من ماله أي مال الوصي وله أجر كبير أو من مال أصحاب الخير، أو بتدخل الحاكم وتوفير النفقة اللازمة لتعليمه. وهذا يدل على أن مسؤولية التعليم في ذلك العصر ـ القرن الرابع الهجري وما قبله ـ كانت تقع على الأب

---

(١) الرسالة المفصلة ـ للقابسي ص ٢٩١ مرجع سابق.

ووليه وأهل الخير من المسلمين فإن عجزوا تدخل الحاكم.

أما جوابه حول تعليم البنات، فقال: «وأما تعليم الأنثى القرآن والعلم فهو حسن ومن مصالحها، فأما أن تعلم الترسل والشعر وما أشبهه فهو مخوف عليها. وإنما تعلم ما يرجى لها صلاحها ويؤمن عليها من فتنته، وسلامتها من تعلم الخط أنجى لها»[1].

وقد أكد القابسي فكرة إلزامية تعليم الأولاد وانها تقع على الآباء ومن يقوم مقامهم لا على الدولة، والنص الآتي يوضح هذه القضية:

«ثم اعلم أن أئمة المسلمين في صدر هذه الأمة ما منهم الا من قد نظر في جميع أمور المسلمين بما يصلحهم في الخاصة والعامة، فلم يبلغنا أن أحداً منهم أقام معلمين يعلمون للناس أولادهم من صغرهم في الكتاتيب ويجعلون لهم على ذلك نصيباً من مال الله عز وجل.. ولكنهم ـ والله أعلم ـ رأوا أنه شيء مما يختص أمره كلُّ انسان في نفسه، اذ كان ما يعلمه المرء لولده فهو من صلاح نفسه المختص به، فأبقوه عملاً من عمل الآباء»[2].

وقد نتج عن ذلك نشأة الكتاتيب وتخصص كثير من حفظة القرآن الكريم والعلوم الدينية وغيرها بتعليم الصبيان وأخذ الأجر على ذلك من أهل الأولاد وقد استشهد القابسي بأدلة كثيرة على ذلك أورد فيما يلي بعضها:

«ولقد ذكر الحارث بن مسكين في تاريخ سنة ثلاث وسبعين: أخبرنا ابن وهب قال: سمعت مالكاً يقول: كل من أدركت من أهل العلم لا يرى بأجر المعلمين ـ معلمي الكتاب ـ بأساً. وسئل مالك عن الرجل

(١) الرسالة المفصلة ـ مرجع سابق ج ٢ ص ٢٩٢ .
(٢) المصدر السابق ـ ص ٢٩٣.

يجعل للرجل عشرين ديناراً يعلم ابنه الكتاب والقرآن حتى يحذقه فقال: لا بأس بذلك وان لم يضرب أجلاً، ثم قال: والقرآن أحق ما يعلّم أو قال علِّم . . ». . ولقد مرت بي حكاية تذكر عن ابن وهب أنه قال: كنت جالساً عند مالك فأقبل إليه معلم الكتاب فقال له: يا أبا عبد الله، إني رجل مؤدب الصبيان وانه بلغني شيء، فكرهت ان أشارط، وقد امتنع الناس عليّ وليس يعطونني كما كانوا يعطون، وقد اضطررت بعيالي وليس لي حيلة الا التعليم. فقال له مالك: اذهب وشارط. فانصرف الرجل. فقال له بعض جلسائه: يا أبا عبد الله تأمره ان يشترط على التعليم؟ فقال لهم مالك: نعم فمن يُمَحّط لنا صبياننا؟ ومن يؤدبهم لنا؟ لولا المعلمون أي شيء كنا نكون نحن؟ ويشد ما في هذه الحكاية عن مالك ما ذكره ابن سحنون قال: حدثونا عن سفيان الثوري، عن العلاء بن السائب، قال: قال ابن مسعود: ثلاث لا بد للناس منهم، من أمير يحكم بينهم، ولولا ذلك لأكل بعضهم بعضاً، ولا بد للناس من شراء المصاحف وبيعها ولولا ذلك لبطل كتاب الله، ولا بد للناس من معلم يعلم أولادهم ويأخذ على ذلك أجراً، ولولا ذلك كان الناس أميين، يريد لولا المصاحف لنسي القرآن، وكل هذا يشد لك قولي، فتكون هي الضرورة القائدة إلى السقوط في فقد القرآن من الصدور».

وأرى أن سبب تردد هذا المعلم وأمثاله في أخذ الأجر على تعليمه، أي اشتراطه أخذ المال مقابل تعليم الولد القرآن وما يتصل به من كتابة وعلوم أخرى، هو خوفه من أن عمله هذا قد يكون صورة من صور المقارنة بين المال وكتاب الله أي التعادل بينهما وفي هذا من الاثم والخطأ ولا يرضى ذلك لنفسه أي مسلم.

أما أخذ الأجرة على الفقه والفرائض والنحو والشعر فيكره أخذها، ويستشهد القابسي بقول مالك «الاجارة على تعليم ذلك لا تعجبني

والشرط على تعليمها أشر»[١].

وتعليل ذلك كما أورده القابسي عن الامام مالك ان القرآن له هدف محدود في الخط والقراءة والكتابة والاعراب، أما العلوم الأخرى فلا حدود لتعلمها، أي لا يمكن تحديد ما يقوم المعلم بتعليمه للأولاد ليحدد على ذلك أجره فينتج عن ذلك أن من يقوم بتعليم تلك العلوم ينبغي أن يكون موظفاً لدى الدولة لتحقيق هذه الفرصة ولعل هذا كان الدافع لنشوء حلقات العلم في المساجد وتخصص كل معلم في تعليم علم من العلوم للطلاب الذين يلازمون حلقته، بعد أن اجتاز أولئك الطلاب المرحلة الأولى في تعليمهم وهي مرحلة تعلم القرآن وما يتصل به من كتابة واعراب.

فمسألة إلزامية التعليم في الاسلام تقع على الولي، والدولة مكلفة بمراقبة تنفيذ ذلك بالشكل الذي يقتضيه الحال كما تقدم شرح ذلك.

٥ - مُدّة الدِّراسَة

استناداً الى مبدأ «طلب العلم فريضة على كل مسلم» الذي قرره النبي ﷺ في هذا الحديث لم يحدد المسلمون الأولون سناً معينةً لبداية الدراسة وعلى الغالب انها كانت تبدأ منذ السنة السادسة أو السابعة بتعلم القرآن الكريم ومبادىء الكتابة في الكتاتيب ثم تستمر بعد ذلك في حلقات العلماء وجهود الدارسين الشخصية عن طريق المطالعة والبحث والرحلات العلمية، ولا تقف هذه الدراسة عند سن معينة بل تستغرق العمر كله.

وقد عقد الشيخ برهان الدين الزرنوجي فصلاً في كتابه «تعليم المتعلم طريق التعلم» بعنوان «في وقت التحصيل» فقال:

---

(١) المصدر السابق ص ٢٩٥.

«قيل: وقت التعلـم من المهد إلى اللحد»[١].

ثم يذكر بعد ذلك بعض التفصيلات فيرى أن أفضل أوقات التعلم هو شرخ الشباب ووقت السحر وما بين العشاءين، ويرى كذلك أنه ينبغي لطالب العلم أن يستغرق جميع أوقاته، فاذا ملَّ من علم يشتغل بعلم آخر، ويستشهد على ذلك بقوله:

«وكان ابن عباس رضي الله عنه اذا ملّ من علم الكلام يقول: هاتوا ديوان الشعراء، وكان محمد بن الحسن لا ينام الليل، وكان يضع عنده الدفاتر وكان اذا ملَّ من نوع ينظر في نوع آخر»[٢].

٦ـ الامتحانات

لم تكن الامتحانات تجرى للطلاب في العهود الاسلامية الأولى بالطريقة التي تجرى بها في زمننا الحاضر، وقد أشار ابن جماعة الكناني إلى امتحان الطلاب بقوله:

«ان يطالب المعلم الطلبة في بعض الأوقات بإعادة المحفوظات ويمتحن ضبطهم لما قدم لهم من القواعد المهمة والمسائل الغريبة ويختبرهم بمسائل تبنى على أصلٍ قرره أو دليلٍ ذكره، فمن رآه مصيباً في الجواب ولم يخف عليه شدة الاعجاب شكره واثنى عليه بين أصحابه ليبعثه وإياهم على الاجتهاد في طلب الازدياد، ومن رآه مقصراً ولم يخف نفوره عنّفه على قصوره وحرّضه على علو الهمة ونيل المنزلة في طلب العلم لاسيما ان كان ممن يزيده التعنيف نشاطاً والشكر انبساطاً، ويعيد ما يقتضي الحال اعادته

(١) الفكر التربوي ـ ص ٣٧١ ـ مرجع سابق.
(٢) المرجع السابق ص ٣٧٢.

ليفهمه الطالب فهمًا راسخاً»[١].

يعطينا هذا النص صورة عن التعليم واختبار الطلاب في عصر ابن جماعة في القرنين السابع والثامن للهجرة يمكن ابراز معالمها في النقط الآتية:

١ ـ ان الامتحانات لم تكن لها أوقات ثابتة معلومة...

٢ ـ يشمل الامتحان اختبار الطلاب في حفظ النصوص ويشمل كذلك مدى فهمهم لما حفظوا بتطبيقه على أمثلة عملية، ويبدو ذلك في قوله: ويختبرهم بمسائل تبنى على أصل قرره أو دليل ذكره.

٣ ـ الشكر للطالب المجيد ـ غير المعجب بنفسه ـ والثناء عليه (بين أصحابه) فهو من جهة يقدم الشكر والثناء لمن يلائمه ذلك، ومن جهة ثانية يفعل ذلك أمام التلاميذ «يحثه واياهم على الاجتهاد في طلب الازدياد».

٤ ـ تعنيف المقصر الذي لا ينفره التعنيف من الدراسة، ولا يكون ذلك أمام التلاميذ.

٥ ـ يهدف هذا الاختبار إلى اكتشاف المعلم للأمور الغامضة واعادة شرحها ليفهم الطلاب فهمًا راسخاً.

٧ ـ التربية الجسمية

اهتم المربون المسلمون بتربية الطفل من الناحية الجسمية إلى جانب اهتمامهم بالتربية الدينية والنفسية والاجتماعية، ويعدُّ ابن سينا أبرع من بحث في التربية الجسمية والنفسية للطفل والبالغ، لكونه طبيباً فيلسوفاً بارعاً يعرف ما يحفظ صحة الجسم واعتدال مزاجه، وان الانسان جسم ونفس

(١) ابن جماعة الكناني ـ تذكرة السامع والمتكلم. ص ٣٩٨ مصدر سابق.

ويوجد تأثير متبادل بين النفس والجسم، وان القواعد التربوية التي عرضناها في تدبير صحة الحامل وتدبير أمور الوليد ورضاعة الطفل وتدبير الأطفال اذا انتقلوا الى سن الصبا، إن تلك القواعد تعد منهجاً رائعاً قويماً يجب أن يأخذ به كل أب وكل أم وكل مربٍ لأبنائه، فهي قواعد صائبة مبنية على التجربة والممارسة العملية ونابعة من الطبيعة والفطرة السليمة ونابعة من مبادىء الدين الاسلامي التي نشأ عليها ابن سينا واتخذها أساساً لتربيته وطبه.

ويشدد ابن سينا على الاستمرار في العناية بصحة الأولاد الجسمية حتى السنة الرابعة عشرة من عمرهم، وينصح بأن يتدرجوا في تقليل الرياضة وهجر المعنفة منها ما بين سن الصبا إلى سن الترعرع ويلزمون المعتدل.

وبعد هذه السن ـ أي سن الرابعة عشرة ـ يرى أن تدبيرهم هو تدبير الأبناء وحفظ صحة أبنائهم، ويخصص فصلاً لذلك في كتابه القانون تحت عنوان «جملة القول في الرياضة»[١].

إن الآراء التي سجلها ابن سينا منذ ألف سنة ـ في قيمة الرياضة ـ فاقت في أهميتها جميع النظريات والقواعد الصحية التي وضعها أساتذة التربية البدنية والنفسية في العصر الحديث، وفيما يلي عرض لرأيه:

يبين أن معظم تدبير حفظ الصحة يرجع إلى ثلاثة أصول هي:

١ ـ الرياضة.
٢ ـ تدبير الغذاء.
٣ ـ تدبير النوم.

فهو يذكر الرياضة في رأس القائمة، ويتحدث عنها فيقول:

(١) ابن سينا ـ القانون ج ٢ ص ١٥٩.

١ ـ الرياضة: هي حركة إرادية تضطر إلى التنفس العظيم المتواتر. والموفق لاستعمالها على جهة اعتدالها في وقتها به غناء عن كل علاج تقتضيه الأمراض المادية والأمراض المزاجية. ويبين كيف أن ترك الرياضة يؤدي إلى تراكم الفضلات في الجسم ويؤدي ذلك إلى الأمراض المختلفة.

٢ ـ أنواع الرياضة: يرجعها الى نوعين أساسيين هما:

أ ـ منها ما هو رياضة يدعو إليها الاشتغال بعمل من الأعمال الإنسانية.

ب ـ منها ما هو رياضة خالصة، وهي التي تقصد لأن تكون رياضة خالصة فقط وتتحرى منها منافع الرياضة، ولها فصول:

منها ما هو قليل ومنها ما هو كثير، ومنها قوي وشديد وسريع وبطيء، وحثيث أي مركب من الشدة والسرعة، ومنها ما هو متراخ.

وأما أنواع الرياضة فمنها: كالمنازعة والمباطشة والملاكزة، والاحضار وسرعة المشي والرمي عن القوس، وركوب الخيل.. ويعدد أنواعاً كثيرة لا تخطر على بال الرياضيين أنفسهم[1].

وقد وصلت الينا أخبار كثيرة من أقوال السلف وآرائهم تدل على اهتمامهم بتربية الجسم، من ذلك:

ان معتب بن أبي الأزهر، من علماء القيروان في عصر الفقيه الكبير «سحنون» ـ قال: قال لي أبو القاسم عبد الله بن محمد في معرض حديث: «وما حال صبيانكم في الكتاب؟ قلت له: ولع كثير باللعب. فقال: إن لم يكونوا كذلك فعلق عليهم التمائم. يريد أنه لا يكسر

(١) ابن سينا ـ القانون في الطب ج ١ ص ١٥٩.

الأطفال عن اللعب الا المرض»[١]. وقال الغزالي في تربية الجسم (وان يعود في بعض النهار المشي والحركة. والرياضة حتى لا يـغلب عليه الكسل. وقال أيضا: «ينبغي أن يؤذن للصبي بعد الانصراف من الكتاب أن يلعب لعباً جميلاً يستريح إليه من تعب المكتب بحيث لا يتعب في اللعب، فإن منع الصبي من اللعب وارهاقه في التعلم دائمًا يميت قلبه ويبطل ذكاءه وينغص عليه العيش حتى يطلب الحيلة في الخلاص منه رأساً»[٢].

ومن الوصايا الشائعة المعروفة لأحد الصحابة في مجال تربية الجسم وهي: علموا أولادكم السباحة والرماية وركوب الخيل. ويجب ألّا ننسى الأساس «الحديث الشريف» الذي يعد أصلاً للتربية الجسمية للفرد المسلم وهو قوله ﷺ: «المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كلٍ خير» وإن هذا الحديث منسجم مع قوله تعالى: ﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم﴾.

ويبحث ابن سينا في موضوع هام ملازم للرياضة وهو «الدلك» ويفصّل القول فيه، وفيما يلي عرض موجز لما قاله:

يذكر أنواع الدلك فيقسمها إلى الأقسام الآتية:

١ ـ الدلك الصلب، فيشدد، أي يشد العضلات.
٢ ـ الدلك اللين، فيرخي العضلات.
٣ ـ الدلك الكثير ويؤدي إلى ازالة السمنة.
٤ ـ الدلك المعتدل : وهو الدلك «المخصب» كما يسميه[٣].

ويقسم الدلك تقسيمًا آخر بحسب الأداة المستخدمة الى قسمين:

١ ـ الدلك الخشن: أي بخرقة خشنة فيجذب الدم إلى الظاهر سريعاً.

---

(١) محمد العروسي المطوي ـ آداب المعلمين لابن سحنون ص ٥٣ مرجع سابق.
(٢) المرجع السابق ص ٥٥. نقلاً عن أحياء علوم الدين (فصل رياضة النفس وتهذيب الأخلاق).
(٣) ابن سينا ـ القانون في الطب ـ ج ١ ص ١٦١ مرجع سابق.

٢ ـ الدلك الأملس: ويكون بالكف أو بخرقة لينة، فيجمع الدم ويحبسه في العضو.

الغرض من الدلك: يرى أن الغرض منه تكثيف الأبدان المتخلخلة وتصليب اللينة، وخلخلة الكثيفة وتليين الصلبة.

ثم يذكر أقساماً أخرى للدلك من حيث علاقته بالرياضة هي:

١ ـ دلك الاستعداد: وهو قبل الرياضة، ويبتدىء ليناً، ثم يشتد إذا قرب وقت الرياضة.

٢ ـ دلك الاسترداد: ويكون بعد الرياضة ويسمى الدلك المسكن والغرض منه تحليل الفضول المحتبسة في العضل مما لم يستفرغ بالرياضة لينعش فلا يحدث الاعياء، وهذا الدلك يجب أن يكون رفيقاً معتدلاً وأحسنه ما كان بالدهن.

ويرى أن الدلك الصلب والخشن اذا أفرط فيه في الصبيان منعهم من النمو ويعدّ ذلك الاسترداد جزءاً من الرياضة ويفصل القول فيه ويشرح كيفية القيام به، فيقول:

«ويجب فيه أن يبدأ أولاً بالدهن وبالقوة، ثم يحال به إلى الاعتداد ولا يقطع على عنفه، والأحسن أن تجتمع عليه أيدٍ كثيرة، ويجب أن يوتّر المدلوك أعضاءه المدلوكة لينفض عنها الفضول، فيؤخذ قماط ويمر على نواحي الأعضاء كلها وهي متوترة ويحصر النفس حينئذٍ ما أمكن لا سيما مع إرخاء عضل البطن وتوتير عضل الصدر ان سهل، ثم يوتر آخر الأمر عضل البطن أيضاً يسيراً ليصيب الأحشاء بذلك استرداد ما، وفيما بين ذلك يمشي ويستلقي ويشابك برجليه رجلي صاحبه.

والمبرزون من أهل الرياضة يستعملون حصر النفس فيما بين

رياضتهم، وربما أدخلوا دلك الاسترداد في وسط الرياضة فقطعوها وعاودوها إن أرادوا تطويل الرياضة.

ولا حاجة إلى الدلك الكثير لمن يريد الاسترداد وهو ممن لا ينكر شيئاً من حاله ولا يريد المعاودة، بل ان وجد اعياء تمرخ تمريخاً ليناً بالدهن، فإن وجد يبساً زاد في الدلك حتى توافي به الأعضاء الاعتدال، وقد ينتفع بالدلك الشديد عند النوم، فإنه يجفف البدن ويمنع الرطوبة عن السيلان إلى المفاصل»[1].

من الملاحظ أن ابن سينا قد قرر أهمية التدليك وانه ملازم للرياضة وفصّل القول فيه منذ ألف سنة، ونجد الطب الحديث في هذا العصر يعتمد عليه في صحة الجسم وعلاج بعض الأمراض، فدلّ ذلك على نظر ابن سينا وصواب رأيه في تربية الجسم والنفس.

واذا كان المربون المسلمون قد أشاروا إلى الاهتمام بتربية الجسم إلى جانب التربية الدينية والعقلية، فإنهم لم يبلغوا المرتبة التي بلغها ابن سينا، لأنه طبيب يعرف أكثر من غيره طبيعة الجسم البشري وأسباب قوته وضعفه.

* * *

وإلى هنا أنتهي من عرض هذه الجوانب من تربية الطفل وتعليمه عند أشهر المربين المسلمين، وهي تمثل نماذج للتربية الاسلامية في مختلف العصور الإسلامية، تلك التربية المستمدة من آيات القرآن الكريم وأحاديث رسوله ﷺ، وقد أوضحت هذه الناحية في الفصل الأول والثاني من هذا الكتاب.

---

(١) المرجع السابق ـ ص ١٦١.

وآمل أن أكون قد وفقت لإعطاء القارىء الكريم صورة صادقة عن هذا الجانب من تراثنا الحضاري التربوي.

والحمد لله رب العالمين

المصـــادر

١ ـ ابن جماعة: محمد بن إبراهيم بن سعد الله الكناني ـ تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم ـ تحقيق محمد هـاشم الندوي، دار الكتب العربية ـ بيروت / ١٣٥٤ هـ.

٢ ـ ابن جمرة: عبد الله الأنـدلسي ـ بهجة النفـوس شرح مختصـر البخاري ـ دار الجيل ـ الطبعة الثانية ـ بيروت / ١٩٧٢ م.

٣ ـ ابن حجر العسقلاني: الإصابة في تمييز الصحابة وبهامشه: الاستيعاب لابن عبد البر ـ دار صادر، بيروت طبعة ١٣٢٨ هـ.

٤ ـ ابن حنبل: أحمد ـ المسند، وبهامشه منتخب كنز العمـال في سنن الأقوال والأفعال ـ للمتقي ـ نشر المكتب الإسلامي ودار صادر بيروت بدون تاريخ.

٥ ـ ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد: المقدمة: مختارات محمد ناصر ـ الفكر التربوي: جـ ٢، وكالة المطبوعات ـ الكويت ١٩٧٧ م.

٦ ـ ابن سحنون: محمد بن عبد السلام ـ آداب المعلمين ـ مراجعة وتعليق محمـد العروسي المطوي ـ الشركة التونسية لفنون الرسم ١٩٧٢ م.

٧ ـ ابن سعـد ـ محمد: كـاتب الواقـدي ـ الطبقـات الكبرى نشـره إدوار سخو ليـدن ١٣٢٥ هـ نشر مؤسسة النصر ـ طهران.

٨ ـ ابن سينا: الحسين بن عبد الله ـ السيـاسة: مختـارات محمد نـاصر، الفكـر التربوي.

٩ ـ ابن سينا: القانون في الطب ـ مصور بالأوفست عن نسخـة بولاق طبعـة دار صادر ـ بيروت ـ بدون تاريخ.

١٠ ـ ابن المبارك: زين الدين أحمد بن أحمد ـ التجريد الصريح لأحاديث الجامع الصحيح / دار الإرشاد ـ بيروت ـ الطبعة الثانية ١٣٨٦ هـ.

١١ ـ الألباني: ناصر الدين ـ شرح مختصر صحيح مسلم للحافظ المنذري المكتبة الإسلامية ـ الطبعة الثانية ١٩٧٢ م

١٢ ـ **الأهواني**: أحمد فؤاد ـ التربية في الإسلام، والتعليم في رأي القابسي ملحق به الرسالة المفصلة للقابسي، وآداب المعلمين لمحمد بن سحنون / دار إحياء الكتب العربية، القاهرة ١٩٥٥ م.

١٣ ـ **البخاري**: محمد بن اسماعيل ـ الأدب المفرد ـ تحقيق قصي محب الدين الخطيب ١٣٧٩ هـ.

١٤ ـ **الحلبي**: برهان الدين ـ السيرة الحلبية، وبهامشه السيرة النبوية للسيد أحمد زيني دحلان ـ نشر المكتبة الإسلامية، بدون تاريخ.

١٥ ـ **دراز**: محمد عبد الله ـ مدخل إلى القرآن الكريم، نشر دار القرآن الكريم الكويت، ١٩٧١ م.

١٦ ـ **الزرنوجي**: برهان الدين ـ تعليم المتعلم طريق التعلم ـ مختارات محمد ناصر / الفكر التربوي.

١٧ ـ **الشاطبي**: أبو إسحاق إبراهيم بن موسى ـ الموافقات جـ ١ ط ٢ دار المعرفة سنة ١٣٩٥ هـ ـ ١٩٧٥ م.

١٨ ـ **الصالح**: صبحي ـ منهل الواردين شرح رياض الصالحين ـ دار العلم للملايين، الطبعة الثانية ١٩٧٣ م

١٩ ـ **الطبري**: محب الدين أحمد بن عبد الله ـ السمط الثمين في مناقب أمهات المؤمنين ـ نشر وتوزيع مكتب التراث الإسلامي بحلب ـ سورية، بدون تاريخ.

٢٠ ـ **عبد الحميد**: **محمد محي الدين** ـ سيرة ابن هشام ـ دار الفكر ـ بيروت ١٩٣٧ م.

٢١ ـ **الغزالي**: محمد بن محمد ـ إحياء علوم الدين، دار المعرفة، بيروت بدون تاريخ.

٢٢ ـ **الغزالي**: أيها الولد ـ والقواعد العشر ـ محمد أديب كلكل ـ مكتبة دار الدعوة ـ حماه ـ سورية، بدون تاريخ.

٢٣ ـ **قطب**: سيد ـ في ظلال القرآن ـ الطبعة الثانية ـ دار إحياء الكتب العربية ـ مصر ـ عيسى البابي الحلبي.

٢٤ ـ **قطب**: محمد ـ منهج التربية الإسلامية ـ دار الشروق ـ بيروت الطبعة الثانية ـ بدون تاريخ.

٢٥ ـ **ملا عثمان**: حسن ـ أبناؤنا، وسائل العناية بهم صحياً وتربوياً ـ دار الفكر بدمشق نشر وزارة الثقافة السورية ١٩٦٢ م.

٢٦ ـ **النسفي**: عبد الله بن أحمد ـ تفسير القرآن الجليل ـ طبعة مكتبة الغزالي حماه ـ بدون تاريخ.

٢٧ ـ **هارون**: عبد السلام ـ تهذيب سيرة ابن هشام ـ نشر المؤسسة العربية الحديثة الطبعة الثانية ١٣٨٣ هـ.

٢٨ ـ **الواحدي**: أبو الحسن علي بن أحمد ـ أسباب النزول ـ وبهامشه الناسخ والمنسوخ لأبي القاسم هبة الله بن سلامة أبي النصر عالم الكتب، بيروت ـ مصور عن طبعة مصرية ١٣١٦ هـ.

٢٩ ـ **ابن رستة**: أبو علي أحمد بن عمر ـ الأعلاق النفيسة ـ ليدن ـ بريل ١٨٩١ م



فهرس



